الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى تاسوست – جيجل –

كلية الآداب واللـغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

صورة الآخر في رحلة أبي دلف

مـذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب قديم

إعداد الطالبتين

– سمية سرار

– توبة بوصبع

إشراف الدكتور:

كمال بولعسل

أعضاء لجنة المناقشة:

د.رؤوف قماش	رئيسـا
د.كمال بولعسل	مشرفا ومقررا
أ. عمر بوفاس	عضـوا مناقشا

السنة الجامعية:

1444/1443

2023/2022 م

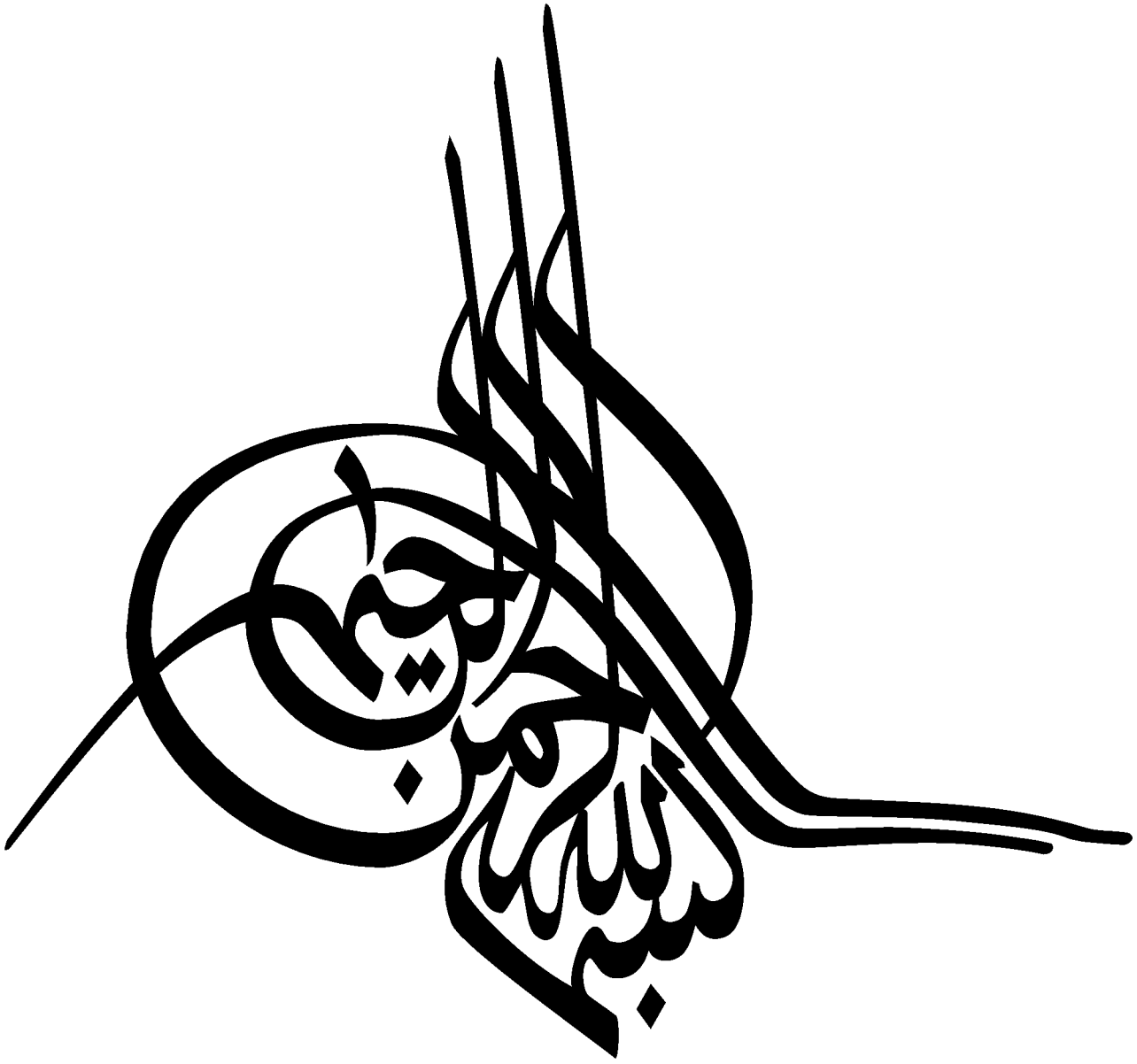
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الأدب تجربة متعددة الأوجه، فهو يندمج بين الأجناس المختلفة التي تمتاز بأساليبها وقواعدها الخاصة، بدايةً يمكن تصنيف الأدب إلى قسمين رئيسيين: الأدب النثري والأدب الشعري، ومن هنا تتفرع الأجناس الأدبية المختلفة التي تراعي تفردها في توظيف اللغة ومعمار النص وتطوير الشخصيات، ويعد أدب الرحلة محصل الأجناس الأدبية فهو يعزز التجربة العميقة والتحولات الشخصية، كونها مهمةٌ استكشافيةٌ تأخذنا في رحلة فريدة من نوعها إلى أفق الاكتشاف والتجديد، بواسطة لغة الرحلة المليئة بالتشويق، يمكن للكتّاب استنطاق الحدود وتصوير محطات التغيير والنمو بتفاصيلها المعقدة والمثيرة حيث تتجلى كرمز للتجوال الفكري والتطور الشخصي، وتعد الرحلة موقف لفهم الآخر، فهي ترسم لوحة تفاصيلية لا تعد ولا تحصى تعكس التباينات الثقافية والاجتماعية والنفسية للشخصيات. تهدف هذه الدراسة الى استكشاف صورة الآخر وتحليلها في سياق رحلة أبي دلف، وكيفية تصوير الآخر وتمثيله في الرحلة وتأثير ذلك على الاتصال الثقافي. من خلال هذا العرض يمكننا الأن طرح اشكالية مفادها كيف يتجسد مفهوم "الآخر" في تجربة الرحالة أبو دلف؟ وما هي التحديات والمكامن الإبداعية التي يواجهها في فهم وتفسير صورة الآخر في رحلته؟ وكيف يتعامل معها بشكل فريد ومبتكر؟

يمكننا أن نتفق على أن صورة الآخر تعتبر تصورًا أو اعتقادًا يحمله الفرد عن الأشخاص من خلفيات وثقافات مختلفة عنه، قد تتكون هذه الصورة من مجموعة من الأفكار والتصورات النمطية والقوالب الذهنية، ومن الممكن أن تتأثر هذه الصورة بتجارب الفرد السابقة وتفاعلاته مع الآخرين، بالاستناد إلى هذا التوضيح، يمكننا الآن المضي قدمًا وصياغة الفرضيات المحتملة المرتبطة بموضوع الرحلة وصورة الآخر.

. قد يكون الأخر بمثابة الغريب والعنصر المتغير في رحلة أبو دلف.

. قد تكون اللغة من بين التحديات التي واجهها الرحالة، ومحاولة تجاوز هذا العجز يعد إبداع.

. قد يكون للتواصل الفعال ودقة الملاحظة واستعمال المهارات الذاتية بذكاء وحكمة سبيل لتعزيز الانفتاح على الآخر وتحقيق التجربة الفعلية.

عند مراجعة الدراسات السابقة حول رحلة أبو دلف "كتاب عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين" وكتاب "الرحلة والرحالة المسلمون" تبين أنها لم تستوعب بشكل كاف جوانب رحلته وعلى سبيل هذه الخلفية قمنا بمعالجة هذا النقص وتحليلها من منظور جديد وألا وهو منظور الذات بدلا من التركيز على الجوانب الخارجية

والأحداث الظاهرية للرحلة، سعينا خلال ذلك لإغناء المعرفة المتاحة حول شخصية أبو دلف ورحلته وتوفير تفسيرات ثقافية متعمقة بتجربته الرحلية.

بعد دراسة الأهداف الذاتية في مجال الرحلات وتأثيرها على صورة الآخر، يمكننا الآن التحدث عن الجوانب الأكثر ارتباطًا بالأهداف الموضوعية كتوسيع الفهم والتنوير يمكن أن يفتح هذا التحليل الأبواب لرؤى أعمق تتعلق بالتنوع البشري والتفاعل بين الثقافات المختلفة، بذلك يساهم في توسيع آفاقنا الثقافية وإثراء معرفتنا بتجارب الآخرين ومساهمتهم في تشكيل العالم الذي نعيش فيه وأيضا تطوير المهارات البحثية من خلال جمع المعلومات من مصادر متنوعة وتحليلها بشكل نقدي، وطموح غير واقعي.

بعد تحديد أهداف البحث واستدراك أهمية تأثير الرحلات على صورة الآخر، سننتقل الأن إلى وصف الخطة العملية المتبعة في هذا البحث، حيث تبلورت دراستنا وفق الخطة المنهجية الأتية:

في الجانب النظري تناولنا مفاهيم وعناصر مصطلحات متعددة مثل: الصورة، الصورولوجيا (علم الصورة) صورة الأخر، والرحلة، تلك المصطلحات تعكس جوهر البحث وتفتح المجال لتفسيرات متعددة وتحليلات عميقة لتقديم رؤى متقدمة تعزز تفكير القارئ وترفعه إلى مستوى التحليل النقدي حتى يتمكن من مسايرة واستيعاب مجريات البحث.

أما في الجزء التطبيقي، قمنا بتناول الثنائيات الضدية التي تجلت في رحلة أبي دلف. حيث تم استخلاص مجموعة من الثنائيات على غرار "الأنا والآخر"، و"الإيمان والكفر"، و"دار الإسلام ودار الحرب"، و"الألفة والاغتراب". حيث تشكل هذه العناصر المحور الأساسي للرحلة وتمثل الأحداث الرئيسية التي تفاعل معها أبو دلف خلال رحلته، من خلال تقديم هذه الجوانب المترابطة، تمكنا من بلوغ رؤية شاملة ومشاهد تعكس تجربة أبي دلف في رحلته. تمكن القارئ من استيعاب المعاني المتعددة وتجربة الأحداث المتناقضة التي عاشها أبو دلف.

بناءً على الخطة المنهجية المعلنة سابقًا، سنستعرض الآن المرجعيات المستخدمة في هذه الدراسة لاستكشاف صورة الأخر في رحلة أبي دلف ولتحقيق المصداقية والجودة في العمل، استندنا إلى الكتب والمصادر المتخصصة، من بين الكتب المرجعية التي استخدمناها كتاب عبد النبي ذاكر "الصورة، الأنا، الأخر" الذي يحمل الطابع النقدي / الثقافي استخلصنا منه مفاهيم حول الأخر وحيث ساعدنا في تطوير قدرات التحليل والتفكير النقدي وساهم في توجيه البحث لمزيد من الدقة والتحقيق، كما أدرجنا كتاب أخر يحمل طابعا أدبيا تاريخيا موسوم بعنوان "الرحلة في التراث العربي" لفؤاد قنديل، أتاح هذا الكتاب مصادر ومراجع موثوقة حول الأدب الرحلة في التراث العربي، هذه المصادر وفرت لنا دعامة نظرية وفكرية وساعدتنا في كتابة المذكرة واخراجها في أحسن صورة، وأيضا كان لكتاب

المركزية الإسلامية للدكتور عبد الله ابراهيم بطبيعته الفكرية الرصينة ومرجعية مهمة للبحث، لما يقدمه من رؤية متوازنة ونقدية للمخيال الإسلامي القديم الذي أثر في تصور المسلمين والرحالة للآخر.

بناءً على المرجعيات المستخدمة في هذه الدراسة، تأتي منهجيتنا مستندة إلى المنهج السيميائي، اختيارنا لهذا المنهج يعود إلى قدرته على فهم وتحليل الرموز والرموز الثقافية التي تجيش بها رحلة أبا دلف، بفضل هذا المنهج نستطيع الوصول إلى فهم أعمق للتفاعلات الثقافية والاجتماعية التي يتعامل معها الرحالة خلال رحلته.

بعد تحديد المنهج المستخدم في الدراسة، نجد أنفسنا أمام تحديات متعددة ومتنوعة تلك الصعوبات تشكل جزءًا لا يتجزأ من مسارنا الأكاديمي وتعزز من قدراتنا ومهاراتنا، إحدى الصعوبات التي واجهناها هي:

الصعوبة في تفسير معاني بعض المفردات والعبارات المستخدمة في النص الأدبي، والتي قد تكون قديمة أو متخصصة، صعوبة في تحليل دلالات صورة الآخر وما يمثلها من تحولات ثقافية واجتماعية وسياسية في زمن محدد.

إن كان هذا العمل أمامكم اليوم فهو بفضل الله عز وجل ثم الأستاذ كمال بولعسل الذي ساهم بجهوده الكبيرة في توجيهنا وتعليمنا واهتمامه الكبير وتفانيه في تطوير مهاراتنا والهامنا للتعلم، فقد ساعدنا على التغلب على التحديات والعوائق التي اعترضت طريقنا خلال القيام بهذا العمل، فكان له الدور الكبير في نموه وتصويبه.

ونأمل أن تكون هذه المذكرة التي بين أيديكم قد حصدت ثمرة مجهودنا وأن تكون مرجعا للأجيال اللاحقة.

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي

1. مفاهيم الصورة

1. الصورة عند الغرب
2. الصورة عند العرب

2. مفهوم الصورولوجيا

1. مفهوم الصورولوجيا عند الغرب
2. مفهوم الصورولوجيا عند العرب

3. مفهوم الأخر

1. صورة الأخر عند الغرب
2. صورة الأخر عند العرب

4. مفاهيم حول أدب الرحلة

1. أدب الرحلة خزان للصور

1- مفاهيم الصورة:

تعد الصورة أداة فنية أساسية في تشكيل الأدب فهي وسيلة الأديب في إبراز عمله الإبداعي حيث أولاها النقاد والباحثون والدارسون أهمية كبيرة وقد كانت مفاهيم الصورة تتطور في كل مرحلة من مراحل الفكر الأدبي فوصفها قدماء البلاغيون "أنها تلك التشبيهات والمجازات والاستعارات والكنايات وما صاحب ذلك من قضايا نظرية اللفظ والمعنى ومقاييس الإبداع والقيمة الجمالية وتطور المصطلح وتغيير التسمية إلى الصورة ينم عن تطور في النظرة"[1]الصورة في القديم كانت تشير إلى كل ما يدخل ويرتبط بعلم البيان فمثلا تستخدم الاستعارة بدل مصطلح الصورة ثم تغيرت هده المصطلحات إلى مفهوم الصورة التي تنوعت مزاياها بتعدد أزمنتها وظروفها لتمد النص قيمته وقوته إذن الصورة الفنية هي " التركيبة اللغوية المحققة من امتزاج الشكل بالمضمون في سياق بياني خاص أو حقيقي موح كاشف ومعبر عن جانب من جوانب التجربة"[2] هي عملية توحيد الألفاظ والمعاني مشكلة مقاطع ذهنية تعبر عن النزعة الإنسانية والوجدانية التي تختلج الأديب وتبرز الآراء والأفكار والتوجهات لديه أد أنها الوسيلة التعبيرية المصاغة في قالب لغوي خاص غرضه التأثير بالمتلقي.

ويرى بول ريفري أن الصورة " إبداعٌ ذهني صرف ينبثق من الجمع بين حقيقتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة"[3] فالصورة أداء عقلي يربط بين واقعتين مختلفتين ويؤلفهما بواسطة صفات ونقاط مشتركة تجسد بدلك معاني مبتكرة ومتجددة تثير انفعالات ذهنية عميقة أيضا هي " التعبير عن التجربة على هيئة صور ذهنية أي تقديم التجربة بعد أن يقوم العقل بتحويلها إلى صور"[4] يخرج الأديب أفكاره وأحلامه المتخيلة فيّ ذاكرته إلى إبداع لفظي يترجم بها تجاربه الشعورية يخرجها من إطارها السردي العادي ويضعها في قالب لغوي خاص و متميز ونجد أنها " تساوي تجربة معاشة أي أننا حين نعثر على صورة على صورة نعثر على تجربة معاشة حقا، أي أنه قد رأى أو إدراكا حسيا ما يستطيع أن يتخيله"[5] التجربة الإنسانية تعتبر أساسية في عملية الإبداع وكشف المعاني العميقة فهي تمكن الفنان من التفاعل والمشاركة في الانفعالات وأحاسيس كما يفعل الشاعر بالإضافة إلى دلك تتيح له التجربة الإنسانية التعبير عن رؤيته للواقع والعالم الخارجي، وتجدر الإشارة إلى أن الصورة " نتاج لفاعلية الخيال وفاعلية

[1]-نعيمة شلغوم، الصورة الفنية، مفاهيم وقضايا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر، بسكرة، العدد43، مارس 2016، ص84.

[2]-بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994،ص20.

[3]-د.عبد الحميد هيمه، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة بوزريعة، الجزائر، 2005 ص57.

[4]-نعيم اليافي مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1982 ص74.

[5]-نعيم اليافي مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص73.

الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه إنما تعني إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر"[1] الخيال عنصر أساسي في الصورة الفنية يربط بين الأديب والمتلقي والواقع الحسي ما يجعل الصورة تتمتع بالحيوية يخرجها من قالبها العادي والعامي ويشكل بدلك للمتلقي عوالم أخرى من اللاوعي ويظهر الخيال البعد الجمالي وتجلياته في العمل الفني.

وقد عرفت الصورة الأدبية كذلك أنها " مجموعة من الألفاظ والعبارات الموحية والدالة التي تغلفها البساطة والوضوح تارة والتعمية والغموض تارة أخرى التي تقوم على عنصر الخيال وهذه الألفاظ والتعبير تصدر عن واقع المبدع الحسي والإدراكي العقلي "[2] تتباين الصور الأدبية في درجة عمقها ووضوحها ومدى دلالتها واحاءها فهي تصاغ على نحو معين يتم تفسيرها وفهمها من المتلقي، وهي عادة مرآة الواقع الحسي والعاطفي الذي يحيط بالأديب ويعيشه، وغالبا ما تأتي الصورة ملازمة للشعر حيث يرى جابر عصفور أن " الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر"[3] ظلت الصورة أداة مهمة وعنصرا أساسيا من عناصر الشعر ومهما تطور الشعر وتوسعت موضوعاته وتغيرت أساليبه ونظرياته بقيت الصورة إحدى مكوناته الرئيسية تعتبر المحك والمعيار الأول الذي يبرز مقياس جودة الشعر وقيمته وتميز العيوب والنواقص فيها، أما غنيمي هلال فقد جعل الصورة " نموذج للتجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر في عمله وهي التمثيل الحي للعواطف والخواطر والمشاعر"[4]حيث أن الصورة هي الوعاء الذي يضع فيه الشاعر عواطفه وأحاسيسه وأفكاره وأرائه واتجاهاته التي يكتمها في ذاته ثم ينقلها للآخر ويشاركه مشاعره ومن خلال هذه الصورة يمكن رؤية التجارب والواقع الذي مر بها الشاعر فهي انعكاس لحالته.

إذا كان مفهوم الصورة قديما يتحدث عن الأجناس الأدبية من شعر (صور شعرية) وغيرها فإنه مفهوم متغير وليس ثابت مر بمراحل عدة وتطور هذا المفهوم وأصبح له أهمية كبيرة فقد ظهر مفهوم الصورة في دراسات النقاد والباحثين ووضع لنفسه مكانا في الأدب حيث خص بالبحث والدراسة ليتعدى هذا المصطلح مراحل مكنته من أن يظهر بما يعرف بعلم الصورة الذي أصبح فيما بعد مبحثا من مباحث الأدب المقارن فقد فتح أفاقا تعرفنا بالأمم والشعوب وآدابها وسلوكياتها ونظرتها للأخر والانا المغاير لها على حد سواء فقد عرفها هنري دانيال " هي

[1]-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1413هـ، 1992م، ص309.

[2]-محمد ماجد مجلي الدخيل، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي (شعر الأعمى التطيلي) 525 هـ، أنموذجا، دار الكندي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 1574، 2006 ص 19.

[3]-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1413 هـ، 1992، ص7.

[4]-علي علي صبح، الصورة الأدبية، تاريخ ونقد، دارّ أحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دط ، دت،.ص 130.

الكيفية التي ينظر وفقها مجتمع إلى نفسه ويتأمل فيها وكذلك الكيفية التي يفكر بها بالآخر"[1]وهنا كانت الصورة منطلقا للكشف عن حضارات وثقافات الغير وجمع الأفكار والتصورات حول الآخر الأجنبي حيث أن كل شخص ينتمي إلى مجتمع معين وثقافة معينة وتكون نظرته لمجتمع آخر مبنية على صورة سواء كانت سلبيه أم إيجابية، إذن الصورة هي العملية التي نكون بها الانطباعات والآراء والمشاعر نحو الآخر ونجد أن ما يميز صورة الأخر في الذاكرة الجماعية لشعب ما هو أنها صورة ثابتة وعامة وهي أساسا نتاج الخبرات الاجتماعية والاحتكاك بين الشعوب، إنها في غالب الأحيان ليست نتيجة للدراسات العلمية والموضوعية.

[1]–دانيال هنري باجو، الأدب العام المقارن، تر: غسان السيد منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،1997، ص91.

1. الصورة عند الغرب:

لقد أثارت الصورة اهتمام الباحثين في النقد الغربي واستحوذت جهودهم حيث تناولتها مناهجهم ومدارسهم بشكل كبير كان أول من قام بالتطرق إليها هم الفلاسفة القدماء أرسطو ،كأنط، وأفلاطون، وأبان إليها أرسطو في كتابه فن الشعر كون الشعر يعتمد على الصورة وقد جسد أهميتها " أن كل شيء مصنوع لابد له من صورة وهيولة أي شكل ومادة يتركب منها وقالوا أن العلاقة بينهما وثيقة "[1] تتمثل الصورة عند أرسطو أنها جزء مهم بالإضافة إلى الهيولة في أي صناعة دعا إلى ضرورة استخدامها، فالصورة هي الشكل في طبيعته المادية والهيولة هي الشيء الغير محدد والغير قابل للرؤية، الصورة تعطي الهيولة شكلا واضح المعالم وفي هذا الإتجاه "ينظر أرسطو إلى الفنون بأشكالها المختلفة أنها تشترك في خاصية هي المحاكاة أو التمثيل "[2] اعتبر أرسطو الشعر صناعة مثل باقي الفنون الأخرى، فالشاعر ينقل ويصور ويقلد ما يقع نظره عليه في الواقع، مستخدما الكلمات والجمل المجازية يصف ما يريد، حيث شبهه بالرسام الذي يملك ريشة ليرسم بها كذلك الشاعر .

كما برزت الصورة أيضا عند الكلاسيكيين حيث " بدت تابعة لنظرتهم في المعرفة والمعرفة العليا لديهم متمثلة في الأفكار التجريدية فالإدراك قوة تجريدية مستقلة عن صور الحس وهو من سمات العقل"[3]

تجسدت القيم الأساسية للصورة في الكلاسيكية في التفكير المنطقي والعقلي للوصول إلى الحقيقة ومعرفتها وهو ما يجعلها تمتنع عن استخدام الخيال والأساليب المبالغ فيها واعتمدت " التعويل على الحقيقة أو ما يشبهها وهذا يعني الاقتراب من الواقع والابتعاد عن نزوات الخيال والوهم وهذيان العقل"[4]ركزت الكلاسيكية على الحقيقة والابتعاد عن الإسراف العاطفي والأمور الروحية وهذا يعني الاهتمام بالواقع ومحاولة علاجه، فوضعت العقل في الدرجة العليا وهذا جعل الصورة محدودة لبعدها عن الخيال.

تبنت الرومنتيكية الصور الفنية على عكس الكلاسيكية ، حيث" اعتد الرومانتيكيون بالخيال وكان مصدرا لصورهم فاتسمت بكونها شعورية تصويرية لا عقلية فكرية"[5]مجدت العاطفة والانفعال والشعور وجعلتها أساس الفن والأدب ألغت المنطق والواقع وأعطت الخيال دور كبير كونه مصدر الصورة والعامل الأساسي في تشكيلها، غلب على أعمالهم الفنية و تميزت أساليبهم وطرق التعبير بالصدق والعمق والنزعة الذاتية، كذلك تحررت الرومانسية من

[1] –جابر عصفور الصورة، الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص 315.

[2] – كلود عبيد جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،لبنان ،ط1 ،1431، 2010، ص 12.

[3] – بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص 44.

[4] –عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، (مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها، منشورات اتحاد العرب، دمشق سوريا، 1999،ص18.

[5] – بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص 45.

العوائق التي تقيد الأديب وتغلق تفكيره الذي يجعله محدود وثابت وأطلقت العنان للأدباء في تفجير قدراتهم الإبداعية واختصت الصور لدى الرومانسيين بالحركية والحيوية " إن هذه الحيوية تتجلى في اختيار الشاعر لصور الطبيعة الحية التي تظهر حركة ونموا لذلك تبدو الصورة تشخيصا لتجربة الشاعر"[1] اتخذ الرومانسي الطبيعة مصدرا لتأمل وخلق صور مبتكرة تبرز مظاهر الحياة والحركة ومواطن الجمال

أما الرمزية فقد اعتمدوا على" التجارب والتجربة الحسية بواسطة الرمز والتلميح والإيحاء جاؤوا إلى الرمز للتعبير عن الأفكار والعواطف والرؤى لأنه الأقدر على الكشف عن الانطباعات والعالم الكامن خلف الواقع"[2]الصورة عند الرمزيين موحية بالغموض والإبهام ذلك لعمقها و تعدد المعاني فيها وقد وظفوها بكثرة في أشعارهم وأعمالهم لأنها الوسيلة الأمثل للكشف عما يختلج النفس والذات وترتكز الرمزية أيضا على الموسيقى وربط الشعر بالموسيقى يقول فيرلين " مزيدا من الموسيقى والموسيقى قبل كل شيء"[3]حيث يعتبر فن الموسيقى من الوسائل الإيحائية القوية وهكذا فالصورة الرمزية استطاعت الكشف على ما تسره النفس العميقة وإبراز أسرارها ومكنوناتها والذات هي مصدر الصورة عند الرمزيين

أما السريالية ترى أن الصورة " ذات منحى نفسي من إبداع خيال ملهم مبتكر تستنطق منطقة اللاشعور وتترجم أعماق النفس وتقرب بين أطراف متباعدة أو متناقضة"[4]تخلصت السريالية من المنطقية والواقعية وجاءت ضدها اعتمدت على الخيال و الحس واللاشعور في تشكل الصورة واتسمت بالغموض لعدم الوضوح المباشر في العمل الفني بذلك كسرت الأفكار التقليدية وهذا جعل الشعراء يحققون انطلاقة واسعة جعلت الشعر غني بالصور الفنية " كانت السريالية أعنف موجة رفعت الشعر مند عصر النهضة وقد استحقت هذا الوصف بما منحته من أهمية للتصوير الذهني اللاوعي فكانت النتيجة أن تطورت الصورة بشكل خطير ظهرت أنماط جديدة لم تكن معروفة"[5]كانت السريالية موجة فكرية أحدثت تغير في خصائص الصورة وذلك ما أثر على الشعر وجعله يرتقي ويصبح على درجة عالية على المستوى الشكلي والمضموني.

---

[1]- خليل حاوي، الصورة الشعرية دار الكتب الوطنية ،هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي الإمارات، الطبعة الأولى 1431هـ 2010 م، ص 61.

[2]- عبد الرزاق الاصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب (مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها)، منشورات اتحاد العرب، دمشق سوريا، 1999 ص 114.

[3]- عبد الرزاق الاصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص114.

[4]- خليل حاوي ،الصورة الشعرية، ص66.

[5]- عبد الحميد هيمه، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ص 84.

2. الصورة عند العرب:

الصورة الفنية تعتبر عنصرًا أساسيًا في الأعمال الفنية، وتمتاز بكونها تاريخية وقديمة، فهي تجسد الإبداع الفني وتعكس رؤية الفنان للواقع. تعبر الصورة عن مشاعر الفنان وأفكاره، وتعتبر نسجًا حيويًا يميز كل عمل فني عن غيره. على مر العصور، اختلف البلاغيين والنقاد في تفسير الصورة الفنية، وفي هذا السياق يذكر الجاحظ " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي البدوي والقروي إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[1] يعطي الجاحظ أهمية كبيرة للكلمة المكتوبة ويرى أن المعنى هو عنصر متاح للجميع حيث يختار كل فرد ما يريده منها، بالتالي تصبح صياغة الألفاظ ونسجها بشكل يؤثر في المتلقي معيارًا للجودة والإبداع بنظره. يعتبر الجاحظ أن الصورة تكون وسيلة فعالة للتعبير عن الأفكار والمشاعر و " الأسلوب والصياغة وأحكام النسج في العبارات وتخير الألفاظ والأوزان"[2] يتمكن الشاعر من تجسيد مجموعة متنوعة من المعاني التي تعكس تفكيره بصورة متقنة، ووفقًا لرؤية جابر عصفور يكمن التصوير في أسس يتبناها الجاحظ تتعلق بطريقة فريدة لصياغة الأفكار والمعاني، تهدف إلى إحداث تأثير عاطفي وتقديم المعنى بطريقة تلمس الحواس.

بالنسبة لابن طباطبا العلوي أوضح رأيه قائلا " وللمعاني ألفاظ تشاركها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي كلها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض العارض دون بعض وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه وكم حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها ولو جليت في غير لباسها"[3] ابن طباطبا العلوي يشير إلى أن الألفاظ لها دور حاسم في تحديد جودة المعنى، فالمعنى قائم بذاته، ولكن الألفاظ تعمل على إبرازه بشكل إيجابي أو سلبي. إذا كانت الألفاظ محدودة أو ضعيفة، فإن المعنى سيظل محدودًا. وفيما يتعلق بقدامة بن جعفر، فإنه يعطي الأولوية للصورة في تعبيره و يعتبرها " الوسيلة أو السبيل لتشكيل المادة وصوغها شأنها في ذلك شأن غيرها من الصناعات هي أيضا نقل حرفي للمادة الموضوعة، المعنى يحسنها ويزينها ويظهرها حلية تؤكد براعة الصانع"[4] يميز قدامه بن جعفر بين الشكل والمضمون، حيث يتمتع بحرية اختيار المعاني التي يرغب في التعبير عنها.

---

[1]- عبد الحميد هيمة ،الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ص 84.

[2]-علي علي صبح ، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ص134.

[3]- محمد احمد بن طباطبا العلوي ،عيار الشعر، تح :عباس عبد الستاتر، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1 1402، ص 14.

[4]- بشرى موسى صالح ،الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص21.

الصورة الشعرية تعتبر كالحرفة، حيث يتوجب على الشاعر إتقانها وتجميلها ببراعة. الأديب يسعى في صياغة الألفاظ والمعاني لإظهارها بمهارة وجمالية، حيث يستخدم موادًا حسية لإبراز قوة وواقعية النص. هذه الأفكار تم تناولها بوضوح من قِبَل الجاحظ، بينما ابن قتيبة يعد " من أنصار المعنى الذي شايعوه ولم يعتبروا اللفظ إلا بشرف معناه ولم يرفعوا الشكل إلا بنبل مغزاه فلا قيمة للصورة إلا بشرف مضمونها "[1]يقع التركيز على المعنى وأهميته الكبيرة في التعبير، حيث ينبغي اختياره بعناية نظرًا لقدرته على إيصال العبرة والفائدة. يرغب ابن قتيبة في أن يكون المعنى ذو قيمة وجودة عالية، سواء كان في صورة حكمة أو أقوال صالحة تحمل فائدة للقارئ.

وفي هذا السياق يقوم الجرجاني بتوضيح العلاقة بين اللفظ والمعنى، وكيف يمكن أن يتناسبا ويتفاعلا بشكل متكامل من خلال قوله: " وخرج عبد القادر على هذه الفكرة ولم ينظر إلى الشعر على أنه معنى أضيف إليه مبنى وإنما نظر إليه معنى ومبنى لا سبق لأحدهما على الآخر وهما ينتظمان في الصورة"[2]يجمع الجرجاني بين اللفظ والمعنى، ويمنح كل منهما أهمية كبيرة. يعتبر اللفظ تكملة للمعنى والعكس صحيح أيضًا، حيث يتعاونان لإضفاء قوة وجمالية على الصورة. يتمتع اللفظ بقدرة تأثيرية تمكنه من استحضار الأحاسيس والأفكار، وتساهم الصورة في توسيع الآفاق وتحريك الخيال والجمال بذلك يستطيع الشخص الانغماس في عوالم الخيال والجمال والابتعاد عن الواقع الملموس.

[1]- علي علي صبح ،الصورة الادبية تاريخ ونقد، ص 21.
[2]- بشرى موسى صالح ،الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص 23.

2- مفاهيم حول الصورولوجيا:

تمثل الصورولوجيا (imagologie) واحدة من أهم عناصر التواصل الثقافي والانفتاح على الآخر، حيث تعزز الفهم المتبادل وتسهم في تعميق التفاهم بين الثقافات المختلفة، وفي هذا السياق نشأت مدرسة جديدة من المقارنين الفرنسيين المبدعين، مثل (باجو) و (برونيل)، الذين أحدثوا تحولا كبيرا في مجال المقارنة الأدبية وفهم الصورة كعنصر أساسي في الأدب.

يتناول البحث في المجالات المختلفة "الصور" وتجسيدها بأشكال متنوعة في موضوع يعرف بـ "الصور ولوجيا" (imagologie)، ويتمثل هذا المفهوم في دراسة الصور الثقافية التي تصوّرها الشعوب عن بعضها ويطلق على هذه الدراسات أحيانًا اسم "الصورية" في بعض الترجمات، وتستند إلى استكشاف الصور المبْرِزة لكل شعب في نظر الشعوب الأخرى، ويمكن القول إن الرحلات قد ساهمت في تطوير وتحديد مفهوم الصور ولوجيا بشكل عام، بغض النظر عن العرب والغرب، إذ تعتبر الرحلات والتفاعل مع الثقافات الأخرى من العناصر المهمة التي تغذي فهمنا للصورة الثقافية، بحيث يعرفها الناقد بيير رونيل بقوله: "علم أفضت إليه دراسة محكيات الرحلة"[1]

أي أن محكيات الرحلة تساهم في تحديد مفهوم الصور ولوجيا بشكل عام من خلال توثيق تجارب الرحالة و مشاهداتهم للثقافات الأخرى، وتصوراتها حول الأماكن والسفر والتعامل مع المجهول، فدراسة محكيات الرحلة تساهم في توسيع معرفتنا عن العالم وتاريخه، وتعزز الفهم الثقافي والتراثي للمجتمعات المختلفة.

قد ربط الناقد بيير رونيل بين الصور وعلم الأجناس البشرية (الأثنوجرافيا)، وأشار إلى أن الصور تلعب دورًا في فهم الثقافات المختلفة وتصوّرها هذا الأساس لم يعتمد عليه نقاد أخرون إذ تجدهم يربطون بين صورة يحملها شعب لدى شعب آخر والتصورات والمعتقدات التي يحملها الشعب عن طقوس وأعراف الشعب الآخر، وهذا ما يعرف بمجال الصورولوجيا، يقول (جان ماري غراسان) :" إن تمثل الأجنبي وصورة الشعب الآخر في أدب شعب أخر التي تطفح بها الآداب هي من صميم الصورولوجيا"[2]

يساهم هذا التمثيل في توضيح وتحليل العلاقات الثقافية بين الشعوب وكيفية تبادل الصور والتصورات بينهما ويُعتبر مجال الصورولوجيا أحد الأسس النظرية التي تساهم في فهم هذه العلاقات.

[1]-عبد النبي ذاكر، الصورة، الأنا، الآخر، منشورات الزمن، المغرب، أكتوبر، 2015، ص 8.

[2]-عبد الرحمان بوعلي، الصورولوجيا و إشكالية التمثلات الأدبية، مجلة دراسات و أبحاث، المجلد 12، العدد2، أفريل 2020، جامعة الشارقة، الإمارات المتحدة، ص 81

تعتبر الصورولوجيا مجالا متعدد التخصصات يستخدم في الأدب و الفن و الإعلام و يمكن ربطها بالثقافة أيضا، و" الصورة هي تمثيل أو تمثل لواقعة ثقافية عن طريقها يتمكن الفرد أو المجموعة إلى ترجمة الفضاء الثقافي والاجتماعي والإيديولوجي اللذان يوجدان فيه[1]"

الصورة هي وسيلة للتعبير عن الثقافة وتنقل رؤى ومفاهيم العالم المحيط، توفر الصورة محتوى بصري يسهل فهم الواقعة الثقافية بواسطة الرموز والعناصر المرئية، يمكن للصورة أن تنقل تجارب وقيم ومعتقدات ، وتفتح نافذة لفهم المجتمع و تراثه

بجانب استخدام الصور كوسيلة للتعبير الثقافي، يمكن أيضًا استخدامها في العلوم الإنسانية لأغراض البحث والتحليل، وتعتمد (الصورولوجية)، على مفاهيم الدرس السيكولوجي السوسيولوجي/ الأنثربولوجي، وهي بذلك، عبارة عن تداخل دروس العلوم الإنسانية بالأدبية [2]"

يمكن أن تستخدم الصور في الأنثروبولوجيا لدراسة الثقافات المختلفة والتفاعلات الاجتماعية، فمن خلال تحليل الصور يمكن للأنثروبولوجيين فهم تفاصيل الحياة اليومية والعادات والتقاليد والتجارب الاجتماعية للمجتمعات المختلفة.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام الصور في الدراسات الاجتماعية لتوثيق العمل الميداني والملاحظات المرئية. من خلال التصوير، يمكن للباحثين توثيق الأحداث والتفاعلات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها المجتمع، مما يساعد في جمع البيانات وتحليلها وتوثيقها بشكل أكثر قوة وفاعلية.

وعند تحدثنا عن الصورولوجيا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أن هناك من عطل مفعولها في الميدان الذي تنشط فيه " الأدب المقارن" على الأخص (روني ويليك) الذي وجه انتقادات لاذعة للصورولوجيا واعتبرها ضربا من السوسيولوجيا أو التاريخ العام، وسيكولوجيا قومية وسيكولوجيا قومية مقارنة، ودراسة في الرأي العام وإحياء للدراسات المادية القديمة، وسيكولوجيا اجتماعية وتاريخا ثقافيا ودراسة مقنعة للموضوعات"[3]

رأى (روني ويليك) أن الصورولوجيا تتعامل مع المفاهيم و المبادئ من مجالات متعددة مثل الفلسفة و السوسيولوجيا و علم النفس و الثقافة المقارنة و التاريخ فهي تجمع بين عدة مجالات معرفية لفهم الصورة و تأثيرها، كما يرى أيضا أنها تمد بصلة أكبر للعلوم الإنسانية و هذا ما جعلها تخلق مشكل داخل حدود الأدب المقارن نظرا لعدم تحديد المجال الذي تنشط فيه، حيث أدى هذا التداخل إلى اختلال في المناهج و عدم وضوح

[1]- عبد الرحمان بوعلي، الصورولوجيا و إشكالية التمثلات الأدبية، ص80.

[2]-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، ط1، 1985، ص 137.

[3]-عبد النبي ذاكر، الصورة، الأنا، الآخر، ص8.

طريقة عملها ولتجاوز هذا الارتباك الذي حل بالدراسات الصورولوجية حاول الناقد الفرنسي (هنري باجو) تحديد نطاق عملها داخل حدود الأدب، ومحاولة منه تخليصها من حملة الانتقادات التي طالتها فقام بتسميتها " الصورولوجيا الأدبية" فالأدبية في نظره تمنع الصورولوجيا من التقاطع مع المفاهيم و الأفكار من عدة مجالات معرفية. يقول أيضا (هنري باجو):"الصورة الأدبية بهذا الشكل، مجموعة من الأفكار عن الأجنبي مأخوذة تطور (التأديب) وكذلك أيضا (المجمعة)" [1]

تتأثر فكرة الصورة الأدبية عن الأجنبي بتطور المفهوم الثقافي والاجتماعي للتأديب والتملص من الاختلافات الثقافية والتوجهات الأخرى، يمكن أن تكون هذه الصورة مجمعة ومأخوذة من مجموعة متنوعة من المصادر والتجارب، بما في ذلك الأدب والمؤلفات الثقافية، وتطور التأديب يشير إلى كيفية معاملة الأجنبي وتعليمه للاندماج في المجتمع، وقد تتأثر الصورة الأدبية بهذا التأديب وتصور الأجنبي كشخص يحتاج إلى التأقلم والاندماج بالثقافة السائدة.

من جهة أخرى، قد تتأثر الصورة الأدبية عن الأجنبي بعملية المجمعة، حيث يتم تجميع الصور والتصورات المشتركة والنماذج النمطية للأجانب من خلال المصادر المتنوعة، مثل الأدب والسينما والإعلام. يمكن أن يؤدي هذه المجمعة إلى تكوين صورة معينة وتعميمها على الأجانب بشكل عام.

من خلال تقديم مفاهيم ومرجعيات ثقافية مختلفة، تظهر الصورولوجيا في قدرتها على التفتح واستيعاب مجموعة متنوعة من الإبداعات الأدبية.

[1]–دانييل هنري باجو، تر: غسان السيد، الأدب العام المقارن، دط، دت، ص90.

1. الصورولوجيا عند الغرب:

تركز الصورولوجيا على الطرق التي يصوّر بها الغرب الثقافات الأخرى، وكيف يؤثر ذلك على العلاقات الثقافية والتفاعلات بين الثقافات، وخاصة الثقافات المستعمرة والمنظمة بوصفها "الآخر."

استخدم الفكر الغربي الصور والتصوير الذهني لتصوير الثقافات الأخرى بطرق معينة تعكس قدراً من التفاصيل والتوقعات والتمثيلات النمطية، وتعد البداية الحقيقية لهذا النوع من الدراسات إلى القرن التاسع عشر، حيث قامت السيدة دي ستايل، الناقدة الفرنسية الشهيرة، برحلة مميزة إلى ألمانيا، حيث قررت الاستقرار هناك لفترة طويلة، كانت هذه الرحلة بمثابة بوابة للتعرف على الثقافة الألمانية والتعامل مع شعبها المثقف وكانت إقامتها الطويلة تتيح لها الفرصة للانغماس في تفاصيل الحياة اليومية للألمان واستكشاف أعلامهم الأدبية والثقافية البارزة مثل غوته وغيرهم "وهكذا كانت محصلة الرحلة التي قامت بها مدام دي ستايل إلى ألمانيا كتابا وضعت له عنوانا بسيطا هو "ألمانيا" سعت فيه إلى تصحيح ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان وبلادهم وثقافتهم لهذا بإمكاننا أن نعد هذا الكتاب بداية لما أصبح يعرف بالدراسة الأدبية للآخر (الصورولوجيا)"[1]

يساعد هذا الكتاب في فهم العلاقات الثقافية بين البلدان وكيفية تأثيرها على التفاعل الثقافي، يعرض "ألمانيا" لمفهوم الهوية الوطنية الألمانية ومظاهرها الثقافية، ويناقش التأثيرات المتبادلة بين الثقافات والأدب والفن في العالم الغربي.

فالصورة النمطية أو المشوهة تكون متجذرة في الجهل بالشعوب الأخرى أو عن طريق تشكيل قوالب ثقافية مسبقة و إزالة هذه الصورة توسع فهمنا على الثقافات الأخرى و إعادة تقييمها بناء على المعرفة والتجربة الفعلية، " ولوتأملنا هذا الجوهر لوجدناه لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخر، من هنا تبرز أهمية الدراسة الأدبية المقارنة التي تقدم علاقتنا مع الأخر وحوارنا معه وبذلك باتت تشكل اليوم إحدى صور العلاقات بين الأمم التي تسهم في حوار الحضارات"[2]

يلعب التفاعل والحوار بين الأمم دورًا مهمًا في تعزيز الفهم المتبادل والتعاون بين الثقافات المختلفة، من خلال التفاعل والحوار، يتمكن الأفراد والمجتمعات من تبادل الأفكار والخبرات والقيم، مما يؤدي إلى تعزيز التسامح والاحترام المتبادل.

[1]–ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، سوريا، ص110.

[2]–المرجع نفسه، ص5.

2. الصورولوجيا عند العرب:

الصورولوجيا كمفهوم لم تكن محورية في الفكر العربي عند المتقدمين، ولكنها بدأت تظهر وتكتسب أهمية في الفترة اللاحقة كوسيلة لدراسة تأثير الصورة في الثقافة والهوية العربية.

قد ترتبط بعض الأعمال الأدبية والنقدية العربية بتحليل الصور الثقافية لبعض الثقافات الأخرى على سبيل المثال، يمكن أن تُعتبر بعض الروايات التي تتناول التفاعلات الثقافية بين العالم العربي والغرب، مثل روايات نجيب محفوظ دراسات صورولوجية غير رسمية.

وفي مجال الدراسات الاجتماعية والثقافية، يمكن أن توجد بعض الأبحاث والدراسات التي تناولت الصورة الثقافية للعرب في الغرب وكيفية تأثيرها على العلاقات الثقافية والإجتماعية، ومن الممكن أن تُعتبر بعض الدراسات التي تناولت الاستعمار والاستعمار الثقافي في العالم العربي إدوارد سعيد، مصدرًا للتحليل الصورولوجي "إن نصوص إدوارد سعيد تخاطب الغرب بلغته، بمنهجه العلمي الحديث وهذا ما جعل النص الإدواردي حي على الدوام، لأنه مغري على القراءة سواء بالنسبة للغرب أو العرب"[1]

عالج ادوارد سعيد قضايا هامة وحساسة تتعلق بالاستعمار والقوة والهوية، وهي قضايا تهم العديد من الثقافات والشعوب، وبفضل منهجه العلمي الحديث والقدرة على الالتفات إلى التفاصيل الدقيقة والتحليل العميق، استطاع سعيد أن يلقي الضوء على هذه القضايا ويشجع القراء على التفكير النقدي واستكشافها بشكل أعمق.

و من جهة أخرى قدم العديد من الباحثين والنقاد العرب صور الآخر في الأدب، واستخدموا التقنيات الصورية المتنوعة لتصوير الحقيقة والتعبير عن المشاعر والأفكار، يقدم شوقي ضيف بعض صور الآخر في الأدب العربي حيث يرى:" أن صلات تاريخية ووثيقة وصلت أدبنا العربي بالآداب الأجنبية من قديم وتبادل معها وجهات من التأثير والتأثر"[2]

يركز شوقي ضيف في دراسته على التأثير المتبادل بين الأدب العربي والأدب العالمي، وكيف أن الأدب العربي يعكس واقع الشعوب والبلدان المختلفة، وكذلك كيف أن الأدب العربي يتأثر بالأدب الآخر وينعكس ذلك في آداب البلدان الأخرى.

[1]–لكحل فيصل، الاستشراق في منظور إدوارد سعيد، دراسة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 12، العدد1، ص198.

[2]–شوقي ضيف، من المشرق و المغرب، بحوث في الأدب، دار بونار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 9.

إن العرب انتقلوا من رؤية مألوفة للعالم إلى رؤية جديدة مستوحاة من التجارب الغربية. بعض الرحالة العرب وجدوا إلهاماً في باريس ووصفوها بشكل شامل في كتاباتهم، من بين هؤلاء الرحالة نجد: "رحلة فرانسيس المراشي صاحب كتاب " رحلة باريس " والذي سافر إلى باريس سنة 1886 م، وأقام بها لمدة سنتين وسجل رحلته في كتابه السالف الذكر وأيضا أحمد زكي باشا الذي سافر إلى باريس وسجل انطباعاته عنها هو الآخر في كتابه " السفر إلى المؤتمر " وهي رحلات حملت في طياتها عاصمة الجن والملائكة " مدينة باريس " ومن يقرأ لهاته الرحلات " سيجد أن صورة باريس كانت إيجابية الملامح والأبعاد[1] "

هذا التواصل الثقافي بين الأدباء والمفكرين العرب وبين باريس يؤدي إلى تعمق الفهم والتقارب الثقافي بين العالم العربي والمجتمع الفرنسي، كما يسهم في إثراء الأدب العربي والفكر العربي بمفاهيم وأفكار جديدة تتأثر بالتجارب الفرنسية والثقافة الغنية المتاحة في باريس.

[1]–نصيرة كبير، الصورولوجيا في الأب المقارن، (الصورة الادبية للآخر)، مجلة الخطاب و التواصل، العدد7، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، جوان 2020، ص 346.

1- مفهوم الآخر:

جاء عند الخليل في العين أن الآخر هو: "الغائب.... وأما أخر جماعة أخرى"[1]

كما نجدها في لسان العرب بمعنى" أحد الشيئين وهو اسم على أفعل (...) والآخر بمعنى غيرك قولك رجل أخر، وثوب أخر، وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفا سكونها وانفتاح الأولى قبلها"[2]

وقد جاءت لفظة أخر في القرآن الكريم في قوله تعالى: " فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما"[3]

وردت لفظة الأخر في المعجم الوسيط على النحو التالي:" فالآخر في الأصل الأشد تأخرا في الذكر ثم أجري مجرى غير ومدلول الآخر وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته، وقولهم جاءني في أخريات الناس وخرج في أوليات الليل يعنون به: الأواخر والأوائل"[4]

تشير التعريفات السابقة إلى أن "الأخر" هو الشخص الآخر أو الغريب، وهو الشخص الذي يختلف عن الذات أو الجماعة.

بمجرد فهمنا للمفهوم في اللغة، يمكننا تحويله إلى مصطلح معين في مجال محدد، حيث يتم تحديد المصطلح الذي يعبر عن هذا المفهوم واستخدامه بين الخبراء و المتخصصين في المجال.

عندما نرغب في تعريف "الآخر"، نستند عادةً إلى المفاهيم التي وردت عند النقاد والمفكرين. وللبدء في ذلك، يمكننا النظر في أعمال الفلاسفة والعلماء الاجتماعيين والأدباء الذين استكشفوا مفهوم "الآخر" بشكل متعمق.

يعود أحد النقاط الأساسية للنظر في مفهوم "الآخر" إلى الفيلسوف الغربي الفرنسي (ميشال فوكو) الذي استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى الاختلاف عن الذات أو الهوية الأصلية، فالأخر" متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، " فالأخر" بالنسبة إلى (فوكو) هو "الهاوية" أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب" [5]

---

[1]-الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي، و ابراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984، ص: 304.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص151.

[3]سورة المائدة، الآية107.

[4]-المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، ط4، 2004، ص8.

[5]-مقدم علي و قادة محمد، الحوار الثقافي بين نحن و الآخر، من منظور عبد المالك مرتاض، المجلد 16، العدد2، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، سبتمبر2020، ص 325.

يقر فوكو الذات وارتباطها بالآخر لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، فكل منهما يلعب دورًا حيويًا في تشكيل تجربتنا الإنسانية، يعتبر الآخر عنده كجزء أساسي من تكوين الذات، حيث يتم تشكيل هويتنا وتصورنا لأنفسنا من خلال تفاعلاتنا مع الآخرين، والذات تتجلى من خلال الخطاب، والخطاب يحدد ويشكل الهوية والمعنى، وهذا يشير إلى أن التواصل والتفاعل مع الآخرين يلعبان دورًا حاسمًا في بناء الذات وفهم الواقع المحيط بنا. وبالتالي يمكننا القول أن الذات والآخر مرتبطان بشكل لا ينفصل، وأن وجود الآخر يشكل إطارًا للخطاب وتكوين الذات، حيث يسهم في تحديد وتشكيل معنى الحياة الإنسانية.

والأخر (other أو الآخرية otherness) في منظور علم النفس فيشير إلى: "مجموعة من السماتّ/ السلوكات الاجتماعية، و النفسية، والفكرية التي ينسبها فرد/ ذات أو جماعة ما إلى الأخرين مما يحيل إلى أن الأخر حاضر في المجال العام للهوية" مجموعة من السماتّ/ السلوكات الاجتماعية، و النفسية، والفكرية التي ينسبها فرد/ ذات أو جماعة ما إلى الأخرين مما يحيل إلى أن الأخر حاضر في المجال العام للهوية" [1] تصوّر الآخر في المجتمع يشمل مجموعة من الصفات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي يُعزَى إليها الفرد أو الجماعة عند التعامل مع الآخرين. يتضمن ذلك التمييز والتفرقة بين الذات والآخرين،

والتوجيه الثقافي الذي يربط الآخر بخصائص ثقافية محددة، والتصنيف الاجتماعي الذي يحدد مكانة الآخرين في المجتمع، والأحكام والتوقعات النمطية التي يُعتبر بها الآخرون متجانسين، والعنف والتهديد المرتبط بهم. تلك السمات والسلوكيات تسهم في تشكيل صورة الآخر وفهمه في المجتمع الغربي.

ويمكننا أيضًا اللجوء إلى الفن التمثيلي لتحديد هذا المفهوم ف "في الفعل المسرحي إدراك متميز للذات عبر الأخر، و من خلال هذا الإدراك المتميز ينشأ الوعي الخاص بالشخصية" [2]

من خلال هذه العملية يتم توسيع إدراك الممثل للذات من خلال الآخرين عن طريق التفاعل، بحيث يساعد على توسيع نطاق تجربة الشخصية وتعميق فهمها لنفسها وللعالم المحيط بها.

بالإضافة إلى ذلك، توجد العديد من النقاشات والنظريات الاجتماعية التي تتعامل مع "الآخر"، مثل النظرية الاجتماعية النقدية والتحليل النقدي للعلاقات الاجتماعية والهوية الاجتماعية "إن الهو يوجه السلوكات الاجتماعية. والوعي به مؤسس على هذه القدرة على الإمساك بموقف الغير من الذات و الإحساس به...ويتجلى

[1]–سعد فهد الدويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، (من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي)، وزارة الثقافة، 2008، ص10.

[2]–صالح سعد، الأنا الآخر، ازدواجية الفن التمثيلي، عالم المعرفة، 1978، ص5.

وعي الهو في الحوار بين الأنا و الذات"[1] قد يؤثر الوعي بالهو الداخلي في توجيه سلوكنا الاجتماعي، فالقدرة على التفكير في وجهات نظر الآخرين والاندماج مع مشاعرهم تعتبر أساسية في ذلك يتجلى الوعي بالهو في الحوار الداخلي بين الأنا والذات، حيث يمكن للفرد أن يتعامل مع تجاربه ومشاعره بصورة مدروسة ومتفهمة هذا الوعي يساعدنا على فهم تأثير تصرفاتنا على الآخرين والاستجابة لها بشكل أفضل.

نستخلص مما سبق أن الأفراد يعيشون ضمن مجتمعات ويتفاعلون مع الآخرين، وإغلاق الذات وعزلتها يثير مشكلة في وجود الآخرين، ومفهوم الآخر يوفر لنا الأساس لفهم صورة الآخر عند العرب، حيث نستخدم هذه المفاهيم والمعرفة السابقة لتحليل النماذج النمطية والتصوّرات المسبقة التي تتعامل بها الثقافة العربية مع الآخر.

[1]-عبد النبي ذاكر، الصورة، الأنا، الآخر، ص84.

1. صورة الآخر عند العرب:

صورة الآخر في المتخيل العربي تطورت على مر العصور وتأثرت بالعوامل الثقافية والتاريخية والإجتماعية، حيث تعتبر فكرة الآخر مفهوما متعدد الأبعاد، يمكن تفسيره وفقا لعدة سياقات في العصور القديمة.

فقد كانت قبل الإسلام توجهات للتمييز والتحامل تجاه الآخرين والثقافات الأخرى، فكان الآخر بمثابة الغريب أو الغير عربي، وكان هناك انفصام واضح بين الذات العربية والآخر" وربما لم تكن القبائل العربية بالإجمال تعرف معرفة جدية و شاملة غير هذه الشعوب و هذه الديانات، ولذلك كانت نظرتها إليها نظرة الأدنى إلى الأعلى بالنسبة إلى الشعوب، ونظرة الإعجاب بالنسبة للديانات" [1]

قد تكون القبائل العربية لا تمتلك معرفة شاملة حول ثقافات وديانات الآخرين، حيث كانت النظرة العربية تجاه الآخرين مليئة بالاستخفاف والتعالي، وربما كانت هناك تفضيلية للثقافات والديانات المألوفة.

مع ظهور الإسلام، تغيرت صورة الآخر في المتخيل العربي بشكل كبير، حيث أعلن الإسلام المساواة والتعايش بين الناس بغض النظر عن العرق أو الجنسية، ودعا إلى التفاهم والتعاطف مع الآخرين، هذا التحول الفكري أدى إلى تقدير واحترام الآخر وتبني قيم التسامح والعدل" وهكذا تتحدد الرؤية القرآنية للآخر في المتخيل الديني العام على أساس وحدة الانتماء الإنساني والعقائدي من جهة وعلى قاعدة التمايز والاختلافات من جهة ثانية"[2]

تتحدد الرؤية القرآنية بمُعامَلة البشر بالمساواة والعدل دون تفضيل على أساس الأصل أو العرق أو الجنسية، بالإضافة إلى ذلك، يدعو القرآن المسلمين إلى التعايش السلمي مع الآخرين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، يُشجَّع على إقامة الحوار البناء وتعزيز التفاهم والتعاون في المجتمع، مع مراعاة التنوع والاحترام المتبادل.

بشكل عام، الرؤية القرآنية تعكس مبادئ الوحدة الإنسانية والعقائدية، مع ترك المجال للاختلافات الثقافية والتعايش السلمي.

في الجانب الأخر تتفاوت هذه النظرة العربية للأخر أثناء الدعوة الإسلامية، حيث نجد رؤية أخرى مختلفة تتبع المنافقون، فكانت نظرتها إليهم نظرة سلبية وفي الطرف المقابل أشاد بالنصارى في قوله تعالى:" ولتجدن أقربهم مودة للذينْ أمنوا الذين قالوا إنا نصارى" [3]

---

[1]–حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص10.

[2]– حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، ص77. -

[3]–سورة آل عمران، الآية 110.

تاريخيا، كانت هناك تحولات في العلاقة بين المسلمين واليهود في السياق الاسلامي ، وقد توجد بعض النظرة السلبية و التمييز في بعض الفترات والاماكن، ولكن النظرة للمختلفين دينيا وعقائديا في الاسلام تتنوع وفقا للفهم الديني والثقافي للأفراد والمجتمعات المسلمة.

توجد أيضًا رؤى متنوعة للآخر في العصر الأموي، بما في ذلك توجهات نقدية وانتقادية لبعض الثقافات الأخرى، كانت نظرة الأمويين مبنية على طابع العروبة، والعرب من منظورهم خير أمة، يصور المتخيل العربي الأموي الأمة الاسلامية كأمة متقدمة وناجحة في مختلف المجال، يتجلى تفوقها وفقا للآية الكريمة "كنتم خير أمة أخرجت للناس" [22]

هذا النمط الاستعلائي للنظرة ينحو نحو التفضيل والتعالي والتفاخر على حساب الأجناس الأخرى، ينجم عنه زيادة التوترات والصراعات الثقافية، تلك النظرة السلطوية تأخذ اتجاهاً عكسياً يزيد من حدة التوترات والصراعات الثقافية.

تأثرت صورة الآخر في ذلك الوقت بتلك الصراعات المستمرة، حيث تكونت نظرة تصورية للبيزنطيين تتضمن التشويه والتحيز، وصفوا بعضهم البعض بالهمجية والفساد، وفي المقابل قد تكون هناك نظرة مبنية على الاحترام والتقدير لبعض الجوانب الثقافية والحضارية للبيزنطيين.

قد يؤثر التاريخ والتراث والتجارب الشخصية والثقافية والتواصل الاجتماعي في صورة الآخر، وقد يتأثر أيضًا بالعوامل الاقتصادية والسياسية. هذا يعني أن صورة الآخر تتلازم مع سمة التبدل والتغير، وتتطور وفقًا للتحولات الاجتماعية والثقافية التي تحدث في المجتمع، لذا ف "إن صورة الآخر لاتظهر بشكل نمطي واحد، بل تبدو بأنماط متعددة لاتحتمل نسقا محددا أو ثابتا، بل تلازمه سمة التبدل والتغير وفقا لطبيعة الظروف الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية والفكرية"[1]

بالتالي فإن صورة الآخر تعكس التعقيد والتنوع الذي يتواجد في القرن السادس، لا يمكن تقييدها بنمط واحد أو ثابت، بل تتجاوب وتتغير بحسب الظروف والسياقات المحيطة، تأخذ صورة الآخر أشكالًا متعددة ومتنوعة، وتعكس التبدل والتغير الذي يحدث في المجتمعات العربية أنداك، كما تتأثر أيضا بالعديد من العوامل الإجتماعية، حيث تؤثر العلاقات الاجتماعية والتفاعلات الثقافية في تشكيل هذه الصورة، وتتأثر بالظروف السياسية، حيث يمكن أن يؤثر النظام السياسي والسياسات الحكومية على تشكيل الصورة وتحديدها

[1]- حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، ص 11.

علاوة على ذلك، تتأثر صورة الآخر بالعوامل الفكرية والثقافية. حيث يلعب الفهم والمعتقدات والقيم دورًا مهمًا في تشكيل هذه الصورة. تفاعلنا مع الأفكار والثقافات المختلفة يمكن أن يوسع ويغير صورتنا للآخر، ويساهم في تعميق التفاهم والتعاون، باختصار يتطلب فهمنا للآخر التفاعل مع هذه العوامل المتعددة والتحلي بالانفتاح والاحترام لتشكيل صورة أكثر شمولًا.

توسعت آفاق العرب وتنوعت رؤى الآخر في المتخيل العربي، وتبنت العرب ثقافات وحضارات أخرى وأضافوها إلى هويتهم الثقافية، و ساعد اختلاط العرب بالشعوب الأخرى تجارة الرقيق، "فكثرة الرقيق و انتماؤه إلى أقليات و شعوب أخرى جعل هناك تباينا في الصورة في التراث العربي، فينما نجد وصف هؤلاء الرقيق و السودان بالهمجية و البهائمية، نجد بعضهم يفرد كتابا خاصا يعرض فيه مناقبهم و مفاخرهم على غيرهم"[1]

في التراث العربي، يمكن ملاحظة تباين في صورة الآخر، خاصة فيما يتعلق بالرقيق وانتمائه لأقليات وشعوب أخرى. بعض النصوص تصف الرقيق والسودان بألفاظ تعكس تحيزًا وتمييزًا سلبيًا، حيث يتم وصفهم بأنهم "همجيون" أو "بهائم". هذا الوصف يعكس تصورًا تحتقر الثقافات والشعوب الأخرى وتجعلها دون المستوى المثالي. ومن الجانب الآخر، نجد بعض الكتابات التي تفرد كتابًا خاصًا لتسليط الضوء على مناقب ومفاخر الأقليات والشعوب الأخرى. تلك الكتابات قد تعكس محاولة لإعطاء الشعوب الأخرى حقها في الإشادة والتقدير، وتبرز إسهاماتهم ومساهماتهم الثقافية والفكرية، ومثل التركي في عصر الحضارة و الثقافة العباسية صورة ازدواجية " الحدود معه متحركة وهو غريب مألوف، منه المسلم وغير المسلم" [2]

هذا الواقع الاجتماعي والثقافي يمثل صورة ازدواجية، حيث يتم تجاوز الحدود الثقافية والدينية في التعامل مع هذه القبائل التركية، ولكن في الوقت نفسه يتم الاحتفاظ بفوارق واضحة في المعاملة والتعامل بناءً على الانتماء الثقافي والديني، يمكن اعتبار هذا التباين في الصورة بين المفاهيم الإيجابية والسلبية للآخر ضمن التراث العربي نتيجة لتأثر المجتمعات بالعوامل التاريخية، الثقافية والاجتماعية.

لعب الرحالة والمستكشفون دورًا هامًا أيضا في تشكيل صورة الآخر في المتخيل العربي. عبر رحلاتهم واستكشافهم للعالم، حيث قدموا وصفًا للثقافات والشعوب الأخرى ونقلوا هذه الصورة إلى المجتمع العربي، وبهذا فقد"وعمقت الرحلات والاكتشافات الجغرافية معارفهم عن هذه الشعوب، مع أن هذه المعارف خلطت الواقع بالخيال والوهم

[1]- حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، ص: 40، 41.

[2]- حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، ص 42.

بالأساطير في أحيان كثيرة، سواء عن قصد من الرحالة والمكتشفين أوعن جهل وتخيل، لكنها أسهمت على أي حال في تحديد صورة الآخر ثم تنميطها " [1]

قد تكون هذه الصورة متنوعة، فبعض الرحالة قدموا صورًا إيجابية وموضوعية للآخر، مشيرين إلى تنوع الثقافات والعادات والتقاليد، وتسليط الضوء على الجوانب الإيجابية والمثيرة للاهتمام في تلك الثقافات.

قد يكون الرحالة والمستكشفون عمدوا في بعض الأحيان إلى تضخيم المعلومات أو إبراز الجوانب المثيرة والغريبة لتلك الشعوب والثقافات، بهدف جذب الاهتمام والاستحسان، في هذه الحالات يكون هناك خلط واضح بين الواقع والخيال، وفي أحيان أخرى قد يكون الخلط بين الواقع والأساطير والخيال ناجمًا عن جهل وتخيل العرب تجاه تلك الشعوب والثقافات، قد يستندون إلى الروايات والقصص الشائعة والأساطير المتداولة في تلك المناطق، وبناءً عليها يشكلون صورة معينة للآخر "وصورة الآخر غالبا ما يختلط فيها الواقعي بالمثالي ، او الحقيقة بالخيال ، وقد يشوبها الاضطراب والتداخل فتصبح غير واضحة المعالم ، وأحيانا يشوبها الغموض والتناقض، كما قد يتدخل في تكوينها الداخلي" رؤيتنا لحقيقة انفسنا بالخارجي" (ما نريد إظهاره من صفات للآخرين)"[2]

ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن هذه المعارف، مهما كانت مختلطة بين الواقع والخيال، ساهمت في تحديد صورة الآخر وتنميطها في ذهن العرب، فقد ترسخت أفكار وتصورات محددة عن الشعوب الأخرى استنادًا إلى هذه المعارف، و تكونت تصورات نمطية ومعينة تميزت بها هذه الصورة.

[1]–حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية، ص 88.

[2]–فهد الدويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، ص 11.

2. صورة الآخر عند الغرب:

صورة الآخر في المتخيل الغربي هي مسألة معقدة تطرح تحديات فكرية وثقافية. فقد تشكلت على مر العصور تشكلت صورة العرب والمسلمين في العقلية الغربية بناءً على التصورات النمطية والتصوُّرات الثابتة، هناك تصورات تميل إلى التشويه والتجريح للثقافات الأخرى، خاصة الثقافة الإسلامية والعربية. في العصور الوسطى تم اعتبار العرب والمسلمين بأنهم "الآخر" غير المسيحي، حيث عمل الغرب على ترجمة الكتب الإسلامية الدينية و كتب الأدب في العصور الوسطى حتى يقدمه في صورة مشوهة تخدم غاياته الجدلية. "وقد كان يتم انجاز هذه الترجمات في الغالب على نحو من التهكم و التحريف و التشويه و السخرية من الإسلام و رسوله صلى الله عليه وسلم من جانب رجال الجدل المسيحي"[1]

ساهمت الترجمة المشوهة للكتب الإسلامية والأدب العربي في العصور الوسطى في صناعة صورة مشوهة للعرب من قبل الغرب، ثم تشويه سمعة العرب عبر تحريف وتحرير المحتوى الأصلي ليتناسب مع الأجندة الجدلية للغرب، بحيث صوروا العرب على أنهم بدائيون ومتخلفون، وتروج لهم الصورة النمطية للمتطرفين والإرهابيين تلك الصورة المشوهة تتجاهل إسهامات العرب في العلوم والفلسفة والأدب والتجارة، وتقلل من ثقافتهم وتاريخهم الغني، و"لقد عملت الحروب الصليبية، على سبيل المثال، على خلق تمثيلات المسلمين، وإدامتها، بوصفهم أشرارا وفاسدي الأخلاق، فاسقين وبرابرة، جهلة وأغبياء، قذرين ومن نوع أدنى، متوحشيين وبشعيين، مهووسين وعنيفين" [2] خلقت للمسلمين تمثيلات تميزت بالتشويه والتحجيم، حيث تم رسم صورة سلبية ومغلوطة لهم، تم تصويرهم على أنهم أشرار فاسدي الأخلاق، برابرة جهلة، متوحشين وعنيفين، هذا النمط السلبي للتصوير ينم عن التحيز والتعصب الثقافي، ويؤثر سلبًا على التفاهم والعلاقات بين الثقافات المختلفة.

"وتظهر هذه الصورة عند (سوذرن)، الذي كتب عن الإسلام متأثرا بمصادر تاريخية غير علمية وغير موضوعية ، واعتمد على " الرأي الشعبي"، الذي يعكس في الحقيقة الأيديولوجيا العامة، التي تشكل الصورة السائدة يومذاك والمشوهة لجهة إضرامها روح الحقد على المسلمين" [3]

---

[1]-مجاجي علجية، صورة الإسلام في العصور الوسطى عند الأوروبيين وتأثيرها في الكوميديا الإلهية، قسم الترجمة، كلية الأداب و اللغات، جامعة الجزائر، ص 198.

[2]-ضياء الدين ساردار، الاستشراق،(صورة الشرق في الأداب و المعارف الغربية) تر: فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، أبوظبي، ط1، 2012، ص 23.

[3]-ضياء الدين ساردار، الاستشراق، ص12.

الصورة التي قدمها (سوذرن) للأخر المسلم كانت ملونة بتلك المفاهيم النمطية والتحيزات السلبية، هذا التصوير المشوه للأخر في الكتابات الغربية يعكس ظاهرة الاستشراق التي استمرت لعدة قرون، حيث قدمت الصور النمطية والمحرفة للأخر المسلم والعربي، وقد كانت تلك الصور مرتبطة بالعديد من العوامل، مثل السياسة الاستعمارية والتفوق الاقتصادي والتوترات الثقافية والدينية.

كانت هناك اتجاهات استكشافية في العصور الوسطى والعصور الاستكشافية التي أثرت في تشكيل صورة الآخر، وكانت هناك تصويرات مبالغ فيها وتشويه للثقافات الأجنبية، وهذا قد أدى إلى تعميم النماذج والتصورات النمطية. وقد تم استغلال تجارب الرحالة في تبرير الاستعمار والهيمنة على الأماكن التي تم استكشافها، ف"مع وصول الصليبيين، أضيف عدد آخر من الرحلات الخيالية في عالم النزوة والرغبات لنشر الصور الدعاوية حول الإسلام كوسيلة للحفاظ على الروح الصليبية" [1]

تم تعزيز صورة الأخر المسلم في عيون بعض الغربيين بواسطة رحلات خيالية وتصويرات خلاقة تهدف إلى نشر صور دعائية حول الإسلام، تم استخدام هذه الصور كوسيلة للحفاظ على روح الصليبية وتبرير مغامرات الحملات الصليبية "وكان لهذه الصورة أن أظهرت العرب، في عين بعض الغرب، شعبا بدويا، غير مسيحي، بربريا ومتوحشا، يفتتح وينهب، في يده اليمنى السيف، وفي اليسرى القرآن"[2]

في هذه الصورة المشوهة، تم تصوير العرب كشعب بدوي غير مسيحي، بربري ومتوحش، يمارس النهب والتدمير. تم تجسيدهم بصورة مرعبة، حاملين السيف في يدهم اليمنى والقرآن في اليسرى. تهدف هذه الصورة إلى تجسيد العرب والمسلمين كعدو وحشي وخطر يهدد الحضارة المسيحية، هذه الصورة النمطية تعكس التحيز والتشويه في التصوير، وهي نتاج للأجندات السياسية والاستعمارية والثقافية التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

ومع ذلك، يجب أن نتذكر أن هناك بعض الرحالة الذين سعوا إلى فهم الثقافات الأخرى بشكل أعمق وأكثر توازنًا. سعوا إلى التعامل مع الآخر بتعاطف واحترام وفهم عميق. تلك الكتابات التي تبرز التنوع والتعايش الثقافي للشعوب المختلفة تساهم في تصحيح التصورات النمطية وتعزيز فهم الآخر بشكل أفضل.

[1]–ضياء الدين ساردار، الاستشراق، (صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية)، تر: فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة أبوظبي،ط1، 2012، ص 48.

[2]–ابراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، (دراسة الأطماع الأجنبية في العالم)، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1996، ص 13.

"غير أن محاربا صليبيا، في إيطاليا، كتب عن إعجابه العديد بالسرساتن ، حيث قال:" سأقول الحقيقة، ولن يجرؤ أحد على استبعادها... لو أنهم فقط حافظوا على إيمان المسيح... لما وجدنا أحدا يمكن أن يعادلهم في القوة و الشجاعة وعلم الحرب "[1]

تأثرت صورة الآخر بتجارب الرحالة، حيث كانت تقاريرهم ومذكراتهم تلهم الفضول والاهتمام لدى القراء في الغرب " والحق أن روفولف، كان أول رحالة وحاج كاثوليكي متنور ، يقف من العرب والمسلمين موقفا غير متعصب، وغير عدائي ، كي لا نصفه بالتسامح الكريم الذي حمل البعض على اعتباره" شوكة في العيون" "[2] في النهاية، يمكننا استنتاج أن بعض كتابات الرحالة لم تكن واعية بشكل كامل، فغالبا ما تكون ملونة بالتحيزات والتصوير النمطي.

يُعتبر الاستشراق أيضًا عاملاً هامًا في تشكيل صورة الآخر في المتخيل الغربي

وقد تأثرت صورة الآخر بفعل الاستشراق، إذ غالبًا ما تمت صياغتها وفقًا للمفاهيم والأفكار المسبقة للمستشرقين الغربيين "يصور الاستشراق من ثم الشرق بوصفه كينونة سلبية منفعلة، طفولية، يمكن الوقوع في حبها واستغلالها ، وتشكيلها واحتواؤها ، وترويضها واستهلاكها"[3]

قدموا تصوراتهم النمطية والمشوهة عن الشرق، وعززوا الاختلافات والتباينات بين الشرق والغرب بشكل غير متوازن. وقد أثرت هذه الصورة المشوهة في صنع السياسات واتخاذ القرارات الغربية تجاه العرب والمسلمين.

من خلال الاستشراق، تم تأطير العرب والمسلمين في نطاقات محددة وتعريضهم للتبسيط والتهميش. وكان الاستشراق يستند إلى تفسيرات وقراءات غربية للثقافات الشرقية، وغالبًا ما تم إبراز الفروق الثقافية والدينية وتسليط الضوء على الاختلافات بين الغرب والشرق، وقد تم استخدام هذه التصورات الاستشراقية في تبرير الاستعمار والتسلط الغربي على الأماكن الشرقية.

مع مرور الوقت، بدأت الدراسات النقدية للإستشراق تظهر، وتسعى إلى إلقاء الضوء على التحيزات والأخطاء التي ارتكبها المستشرقون في فهم وتفسير الثقافات الشرقية،" حيث ساهمت قصص" ألف ليلة و ليلة " في خلق تلك الصور الرومنسية، المغالية في الخيال عن الشرق. فمن خلال حكايات شهرزاد وعلي بابا والسندباد البحري، تسنى لبعض الغربيين بلورة الشرق الجديد[4] "

[1] – ابراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، ص 14.

[2] –المرجع نفسه، ص 19.

[3] –المرجع نفسه ، ص29.

[4] –المرجع نفسه ، ص35.

إن النظرة الغربية لـ "ألف ليلة وليلة" كمصدر للسحر والغموض والروحانية الشرقية يمكن أن تؤثر في تشكيل صورة الآخر عن الشرق كبلد غريب وغير مألوف، وعلى الرغم من أن العديد من الشخصيات والقصص تظهر بشكل إيجابي ورومانسي، إلا أنه يجب علينا أن نتذكر أنها تمثل رؤية مصنعة ومجمعة للشرق، وقد تكون ناقصة في التنوع والواقعية الكاملة للثقافات الشرقية المعقدة.

تأثرت الصورة أيضًا بمفهوم المركز والهامش في العلاقات الدولية والإجتماعية كان الغرب المركز الحضاري والسياسي والاقتصادي الهام، في حين كان الشرق في الموضع الأدنى" ولم يقف الخطاب الغربي المتمركز، عند هذا الحد بل قدم مشروعا ثقافيا وحضاريا، فحواه تجانس الإنسانية مستقبلا من خلال عولمة النموذج الغربي، وهذا ما نتج عنه مخاطر بالغة سوغت لنزعة التوسع على حساب الأخر، حيث برز ذلك في أشكال عدة كاحتلال العالم و إبادة الحضارات و الثقافات العريقة[1] "

تعمل الخطابات الغربية المتمركزة على تقديم مشروع ثقافي وحضاري يروج لفكرة تجانس الإنسانية المستقبلية من خلال عولمة النموذج الغربي، تمثل هذه الفكرة تهديدًا كبيرًا لأفكار وتقاليد الأخر، حيث يتم تجاهل وتهميش ثقافاتهم وحضاراتهم العريقة.

في هذا السياق ظهرت مخاطر عديدة تتراوح بين احتلال الأراضي وإبادة الحضارات والثقافات العريقة. وقد أدى هذا التوسع والاستعمار إلى نزعة تفرضها الثقافة الغربية على الآخر، محاولةً لفرض قيم ونمط حياة غربي على أنظمة ومجتمعات تختلف عنها، حيث "قام الوعي الأوروبي الذي يعي ذاته من خلال الأخر، قام بعملية تفكيك الأخر وهي عملية إقصاء الأخر وتحويله إلى مجرد موضوع[2]"

إن هذه العملية تعمل على استبدال تجربة الأخر بتصويره وتحليله وفقًا لمعايير الغرب، مما يؤدي إلى تشويه صورته وتقييده في إطار ضيق واحتكار المعرفة. تعتبر هذه العملية أحد جوانب الاستشراق والتمييز الثقافي، حيث يتم تمييز الأخر كموضوع دراسة وتحليل دون أن يكون له حضور حقيقي أو تأثير في تشكيل الحوار والتفاعل الثقافي، هذا النهج يعكس التفرد الثقافي والتفوق المفترض للثقافة الغربية، مما ينتج عنه عدم احترام للتنوع الثقافي وعدم الاعتراف بقيم ومعرفة الأخر.

[1]-عباس مخلوف و آخرون، إشكالية المركز و الهامش في الخطاب الغربي(الدوافع و البدائل)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد8، العدد1، جامعة المسيلة، 2020، ص6.

[2]-المرجع نفسه، ص4.

1- مفاهيم الرحلة:

الرحلة هي رحلة المعرفة واكتشاف العالم، فالإنسان منذ القدم لم يكن يكتفي بالبقاء في مكان واحد، بل كان ينطلق في رحلاته لاستكشاف المجهول و توسيع أفاقه، ومن هنا جاءت أهمية الرحلة كموضوع أدبي يعكس تجارب الرحالة ويوثق ما يشاهده ويعيشه خلال رحلته. فقد تطورت الثقافات والحضارات على مر العصور، ومعها تطورت أيضًا أشكال الأدب المتعلقة بالرحلة. تعد الرحلة من هذا المنطلق "نوعا ما من الحركة وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة "[1] يكتسب المرتحل فهمًا أعمق لعادات وأفكار المجتمعات التي يزورها، ويتجسد هذا الفهم في الصورة الثقافية التي تتشكل لديه. ترتبط الصورة الثقافية بالتراث والقيم والتقاليد التي يتعرف عليها المسافر خلال رحلاته، حيث تعكس تلك الصورة جوانب مختلفة من الحياة. وعرفها فؤاد قنديل على أنها "سلوك حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد والجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها" [2] تعتبر الرحلة فرصة للاستكشاف و المغامرة و التعلم، حيث يكتشف الرحالة حضارات مختلفة و يصفها في مؤلفاته وصفا دقيقا لتقريب المشاهد إلى القارئ الضمني ليتفاعل معها، كل هذه الرحلات تترك أثرًا إيجابيًا على الإنسان وتساهم في تنمية روحه المغامرة واكتشاف إمكاناته الكامنة. " روح الحياة وسمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان فقد هيأه الله لها وجعلها إمكانية ضرورية لحياته تتسق مع الهدف من إجادة وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى"3خلق الله تعالى الإنسان وأعطاه جسمًا قويا يستطيع من خلاله تلبية احتياجاته . يستخدم الإنسان هذه القدرة على الحركة ليبحث عن الرزق والاستفادة من المعرفة، وفي سياق الأدب، يعتبر فن الرحلة واحدًا من أهم الفنون الأدبية في التراث العربي، يصفه الكاتب شعيب حليفي " هو من أولى الأشكال التعبيرية التي استعملت فيها الكتابة بضمير الأنا دون تحرج ومن الأشكال التي تطرح فيها باستمرار صورة الآخر"4الرحلة تمنحنا فرصة لرؤية واستكشاف الآخرين والتعرف عليهم،

---

[1]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت 1923,1990ص152.

[2]- فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ،مصر، ط2،1، 1423 ، 2002ص21.

[3]-المرجع نفسه، ص18.

[4]-شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل، الهيئة العامة لقصر الثقافة، كتابات نقدي، دط دت، 2002، ص6.

فعادةً ما يكون الآخر غامضًا ومجهولًا بالنسبة لنا، ولكن عندما نقوم بالتفاعل والتواصل معهم، يتلاشى الغموض وتتشكل صورة أكثر وضوحًا عنهم. هنا يبرز دور النصوص الرحلية في إلقاء الضوء على تجارب الرحالة وتسليط الاهتمام على تجاربهم وتفاصيل رحلاتهم. يُنسب النص الرحلي " إلى التراث النثري بشكل باعتباره سردا ووصفا يعمدان إلى صياغات مشاهدة رؤية أو مروية أو حلميه تنحدر من ذاكرة في بعض الحالات ذات جذور في الواقع المادي"[1] ينقل الرحالة تجاربه وأحداث رحلته بتفاصيلها وقصصها ليمكن المتلقي من استيعاب المعلومات والحقائق واكتشاف الأماكن التي قام بزيارتها، بالإضافة إلى الاستمتاع بالقراءة عن القصص المشوقة التي يرويها.

في أدب الرحلة، تتجلى العديد من القيم مثل " القيمة العلمية فقد تأنت لها بما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها قيمة أدبية في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى مستوى عالم الأدب والخيال الفني وكذا تنوع في الأسلوب من سرد قصصي إلى حوار الوصف"[2] أدب الرحلة ليس مجرد سرد قصصي للأحداث والوقائع، بل هو مصدر غني بالمعرفة والمعارف المتنوعة. يقدم الرحالة في رحلاتهم وصفًا دقيقًا للمواقع والمجتمعات التي يزورها، ويشاركون القراء في تجاربهم الشخصية والاكتشافات التي يحققونها. يتعرف القارئ من خلال أدب الرحلة على عادات وتقاليد الشعوب، ويستكشف التنوع الجغرافي والثقافي للعالم. بالإضافة إلى ذلك، يتضمن أدب الرحلة عناصر الإثارة والمفاجآت، حيث يشعر القارئ بالدهشة أمام تجارب الرحالة و ما " شاهدوه في بعض أسفارهم وما اطلعوا عليه من غرائب وعجائب ودخلت مادة ذلك في عالم القصص على نحو ما نجد في قصص السند باد البحري المشهورة وألف ليلة وليلة"[3] أدب الرحلة يعد أدبًا ذو قيمة علمية وأدبية عالية، حيث يمكنه توفير فهم عميق للعالم وتعزيز التواصل بين الثقافات المختلفة. إنه يدعونا لاكتشاف العجائب والمفاجآت التي تحملها القصص، وتساهم في توسيع آفاقنا وتحقيق الانفتاح على كل ما يحيط بنا .

[1]– شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل، ص39.

[2]–حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص76.

[3]–شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4 ،1987، ص 28.

1. الرحلة خزان للصور:

أدب الرحلة يركز على تصوير ونقل جوانب الحياة في مختلف مجالاتها، فمؤلفات الرحالة تحتوي على عناصر متنوعة ثقافية، جغرافية، اجتماعية، وتاريخية. تنقل هذه المؤلفات عادات الشعوب، وتقاليدهم، وتراثهم الثقافي المادي والفكري، الصور والمعلومات التي تقدمها تكون ذات قيمة للمؤرخين، والجغرافيين، والعلماء الاجتماعيين، وبالتالي، تستحوذ على اهتمام الدارسين والباحثين نظرًا لمميزاتها وخصائصها الشاملة والمتنوعة" هذه النصوص حظيت بقدر كبير من الاهتمام باعتبارها مصادر حضارية علمية اجتماعية وكانت الثقة فيها كبيرة"[1] تعد مؤلفات الرحالة مصادر ثرية للعديد من العلوم، حيث تسجل جوانب متعددة من المظاهر والأنشطة المرتبطة بحياة الإنسان، يمكن للنصوص الرحلية أن تعطي صورة شاملة لأساليب الحياة ونمط المعيشة الذي يتحكم به مجموعة من العادات والتقاليد، كما تساعدنا هذه المؤلفات على اكتشاف عوالم مختلفة من القيم والمبادئ والأنظمة المتنوعة، يقوم الرحالة بوصف سلوك الشعوب وطبائعها، ويبحث في رحلته عن كل شيء، لذا لعبت النصوص الرحلية دورًا هامًا في تأسيس قواعد علم الأنثروبولوجيا، حيث يعتمد هذا العلم بشكل كبير على" الدراسة الإنسانية ، تهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمته قيم جمالية دينية أخلاقية اقتصادية وثقافية واجتماعية ومكتسباته الثقافية"[2]يختص علم الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسان وجوانبه المتعلقة بالثقافات والعادات والسلوكيات التي يكتسبها من خلال تفاعله واندماجه في المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، يعيش الإنسان في بيئة معينة تشكل له نظامًا اجتماعيًا يتميز بعاداته وتصرفاته الخاصة، تحظى ثقافته وأسلوب حياته ومعتقداته بأهمية كبيرة في حياته، ويتم تبادلها وتمريرها بين أفراد الجماعة التي ينتمون إليها. أدب الرحلة لعب دورًا ملحوظًا في استقطاب اهتمام الباحث الأنثروبولوجي، حيث يتضمن تلك المؤلفات المظاهر الحضارية والاجتماعية والدينية" إن الرحلة في جوهرها هي مشاهدات مدونة تكاد ترتقي أحيانا إلى الحفر الأنثروبولوجي في التجليات الثقافية للآخر مادام صاحبها لا ينطلق من ذات مبدعة ولا من ذائقة فنية في المقام الأول بقدر ما يغلبه هاجس البحث عن حدود المختلف والفريد والغريب في هذه القبائل"[3] يعمل الرحالة على تصوير ونقل نمط المعيشة والتفكير للآخرين، بما في ذلك التغيرات والمشاعر التي تشكل الهوية الثقافية والاجتماعية، تتشابك هذه المشاهد مع الخصائص الأنثروبولوجية التي يدرسها الأنثروبولوجيون ويستخدمونها في أبحاثهم، يعد الرحالة ابن جبير من بين الرحالة الذين لهم إسهامات مهمة في هذا

[1]–ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع للهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1415هـ، 1995م، ص21.

[2] مصطفى تلوين، مدخل عام في الانثربولوجيا، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2011، ص20.

[3]– محمد زيطان، الأنثروبولوجيا و الرحلة، (حضور المقدس والمدنس رحلة ابن فضلان أنموذجا)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، المغرب، العدد، 75، أبريل، 2022، ص1.

المجال التخصصي" ابن جبير في رحلته انما هو في مجال الحياة الاجتماعية فهو ينظر دائما إلى أحوال الناس ومستشفياتهم ومدارسهم وفي هذا المجال تتجلى قدرته على الملاحظة ولحكم ملكته في النقد والحكم"[1]من خلال الرحلات المتعددة التي قام بها الرحالة، تمكنوا من توثيق واكتشاف الجوانب الجغرافية، وصفوا الطرق والمدن والأسواق والقرى، وساهموا في فهم جغرافية المناطق ومساعدة المسافرين في توجيهاتهم وحفظ الطرق الرئيسية، كانت أحاديث الرحالة مفصلة حيث سجلوا كل ما رأوه وسمعوه. لقد لعبت الرحلات دورًا هامًا في تزويد الجغرافيين بصور ذهنية وتوسيع آفاقهم، وتمكنهم من استكشاف المجهول في البر والبحر وتحطيم الغموض والشكوك وزيادة معرفتهم بما وراء الجبال والبحار، ومن بين الرحالة العرب الذين استكشفوا مختلف أنحاء الأرض، كان هناك اليعقوبي، وهو رحالة جغرافي قام برحلات من مسقط رأسه إلى أرمينيا وخرسان والهند وفلسطين وعلى الرغم من عدم كتابته في مجال الجغرافيا، أصبح له كتاب يسمى "كتاب البلدان" يحتوي على معلومات عن البلدان التي زارها ووصفها بما في ذلك حديثه عن العراق قال: " وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب وإلى جنب القصر المسجد الجامع وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد إلا دار من ناحية الشام للحرس"[2]يصف اليعقوبي في كتابه "كتاب البلدان" العراق ومدنه بدقة وتفصيل، يستعرض تفاصيل أزقة المدن وما يميزها من معالم جغرافية فريدة، يهتم بكل ما حوله من المظاهر الجغرافية مثل التضاريس والأنهار والبحيرات والجبال، يقدم وصفًا شاملاً للمناظر الطبيعية والأماكن الجغرافية المميزة في العراق مما يمكّن القرّاء من الحصول على صورة واضحة وشاملة للبلاد وتنوّعها الجغرافي، توثق كتاباته هذه التفاصيل الجغرافية التي تعكس ثقافة وتاريخ العراق وتساهم في إثراء معرفة القراء بالمنطقة وبيئتها الجغرافية. نجد كذلك الرحالة رفاعة الطهطاوي أثناء رحلته إلى فرنسا " بحكم إقامته الطويلة فيها فقد أولاها فعلا كل اهتمامه فغرض إلى تسميتها وتخطيطها من جهة، وضعها الجغرافي وطبيعة أرضها ومزاج إقليمها وقطرها ، وتحدث عن قناطرها على نهر السين الذي يخترقها"3الطهطاوي كان مهتمًا بنقل مظاهر السطح ورسم معالمها بدقة بسبب اهتمامه بالتفاصيل وأضافها في مؤلفاته الرحلية، قام بوصف مشاهد المدن والقرى والمعالم الجغرافية، مما يساعد القرّاء على تخيل الأماكن التي زارها بوضوح، علاوة على ذلك قدم معلومات دقيقة عن المواقع الجغرافية والمعالم الطبيعية التي عبرها واستعرضها خلال رحلاته، هذه الأخيرة أعطت إضافة لأدب الرحلة الذي يشكل مادة خصبة لكل المهتمين بالعلوم الاجتماعية و التاريخية و غيرها من العلوم، وتعد رحلة ابن جبير من بين الرحلات التي تناولت وصفا شاملا لحياة الشعوب التي ارتحل إليها، أثناء

[1]- د. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص26.
[2]- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب، البلدان، نح: محمد أمين ضناي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، د ت ص28.
[3]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص 71.

رحلته إلى مصر عاين كل قرية مر عليها، وذكر في احدى سكان بلدة " وهم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد اشفاقا ، ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن من اكراء جمال إن كانت لهم أو مبيع لبن أو ماء إلى غير ذلك من ثم يلتقطون من تمر أو حطب يحتطبونه وربما تناول ذلك نسائهم الشريفات بأنفسهن"[1]لقد قرأت رحلة ابن جبير طبائع وعادات المجتمعات التي زارها بالتفاصيل، وسلّطت الضوء على تراث الإنسان وتفاعلاته اليومية، كما كشفت هذه الرحلة عن التباين والتشابه في القيم والتقاليد بين الثقافات.

تُستخدم في دراسات الأنثروبولوجيا مصطلح "الأثنوجرافيا"، ويركز على استكشاف نمط حياة قبيلة أو منطقة محددة والتعرف على تفاصيل حياتهم اليومية وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم" يدرس كل ما يحيط بالإنسان من ظروف وعلى تفاعله مع هذه الظروف، كما تدرس البيئة الجغرافية والطقس ووسائل العيش والفلكلور والأساطير وألعاب الأطفال وعلاقات القرابة"[2]تركّز الأثنوجرافيا على دراسة الثقافة بشكل محدد، حيث تقوم بتحليل الأعراف والتقاليد والقيم التي تميّز جماعة معينة، تهدف إلى فهم مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية لتلك الجماعة، بما في ذلك العادات والتصرفات والمعتقدات، وتعمل أيضا على وصف وتفسير التفاعلات بين الفرد والمجتمع، ويُعتبر الاثنوجرافي والرحالة بمثابة مستكشفين يسعون لاستكشاف ودراسة تلك الثقافات بطرق استكشافية و"أدب الرحلات يصور أساسا خبرة اتصال الرحلة بثقافة معينة أو عدة ثقافات فإن الاثنوجرافيا تهدف أولا إلى وصف وتحليل الثقافة أو الثقافات بذاتها"[3] الأثنوجرافيا هي المجال الذي يهتم بوصف المجتمعات التي يزورها الرحالة ويتفاعل مع أفرادها ويدرس ثقافتهم وتقاليدهم. يواجه الرحالة تجارب متنوعة ومتعددة أثناء رحلاته، حيث يتعامل مع ثقافات متنوعة وتقاليد مختلفة. يحتاج الاثنوجرافي إلى هذه المعلومات لتحليلها ودراستها. ومن بين الرحالة الذين أسهموا بشكل كبير في هذا المجال هو الرحالة محمد البيروني، الذي قام برحلته إلى الهند وأتاحت له هذه الرحلة فرصة كبيرة لدراسة الثقافة الهندية وتسجيل الملاحظات والمعلومات حولها " يتحدث في رحلته عن قضائهم وعقوباتهم ، وحرقهم لموتاهم وصيامهم وأعيادهم وأفراحهم وأيامهم المعظمة وأوقاتهم المسعودة والمنحوسة وكل ما يسمهم في عاداتهم وطبائعهم ويعد الكتاب وثيقة تاريخية اثنوجرافية "[4]البيروني قدّم وصفًا شاملاً لحضارة المجتمع الهندي وهويته، حيث رصد عاداتهم وتقاليدهم وممارساتهم الغريبة والمختلفة عن المألوف. قدم تحليلًا مفصّلاً لقيمهم وأعرافهم، ووثّق ملاحظاته عن طبيعة الأفراد وأنشطتهم. بفضل عمله، توفرت مصادر مهمة

[1] – أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص53.

[2] –هيلين توماس، جميلة أحمد، الاجساد الثقافية الاثنوغرافية والنظرية، تر: أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة ،القاهرة مصر، ط1، 2010 ،ص12.

[3] – حسين محمد فهيم ،ادب الرحلات، ص 63.

[4] – كمال محمد الريامي، مشاهير الرحلة العرب ،كنوز للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ،الطبعة الأولى ،1434، ص 38.

للباحثين في مجال الأثنوجرافيا حيث يمكنهم الاستفادة من مدوّناته لفهم وتحليل ثقافة المجتمع الهندي وتعرفهم على موروث الثقافي.

الفصل الثاني (التطبيقي): تمظهرات الثنائيات الضدية:

1- ثنائية الأنا و الأخر:

1. الهوية المتنقلة
2. اكتشاف الأنا وتوازنها
3. في ساحة المفارقة بين الأنا والآخر

2- دار الإسلام و دار الحرب

1. الكفر والإيمان.
2. الألفة والاغتراب.

الفصل الثاني (التطبيقي): حول الثنائيات الضدية

تعتبر الثنائيات الضدية من المفاهيم الأدبية الأساسية التي تحظى باهتمام واسع في الأدب والفلسفة والعلوم الإنسانية، فالثنائيات الضدية تعني الجمع بين زوجين من المفاهيم المتناقضة والتي تظهر في شكل تناقضات بارزة وملموسة مثل النهار والليل، الحرية والقيود، الخير والشر، الأنا والآخر، وتمثل هذه الثنائيات الضدية إحدى الطرق المهمة التي يمكن من خلالها فهم العالم ونظرتنا إليه، ويمكن تجسيد هذا المفهوم في أدب الرحلة، حيث تشكل الثنائيات الضدية جزءاً لا يتجزأ من عملية التصوير والوصف الذي يقوم به الرحالة لمكان أو مجتمع ما، وبالتالي فإن الصورة الأدبية التي يصوّرها الرحالة لا تكتمل إلا بالتأكيد على التناقضات والمعارضات والتضادات بين الأشياء، وفي هذا السياق، يشير العديد من الباحثين إلى أن أدب الرحلة يعد من أهم المصادر التي تساعد في فهم الثنائيات الضدية، حيث تشكل الرحلة ذاتها والمسافة التي تفصل بين الرحالة والمجتمعات التي يزورها عنصراً أساسياً في إبراز هذه التناقضات والمعارضات، ويمكن استخدام هذه الفكرة في دراسة رحلة أبو دلف لإبراز المفارقات الثقافية والنفسية في ظل هذه التقاطبات وتسليط الضوء على أهميتها في تحقيق التوازن والتكامل في الحياة.

تعد ثنائية الأنا والآخر من المفاهيم التي تتكرر كثيرًا في أدب الرحلة، فعندما يقوم الرحالة بالخروج من بيئته الاعتيادية والتعرف على ثقافات وشعوب جديدة فإنه يواجه حتمًا تجارب جديدة وتحديات مختلفة، ومن هنا يتمحور أدب الرحلة حول تجربته ورؤيته للآخرين ونفسه، وكيف يتأثر بالتحديات التي يواجهها في طريقه، فالأخر هو مفهوم فلسفي يشير إلى الآخرين، وهو الشخص الآخر الذي يختلف عن الذات والذي يمكن تحديده كشخصية أو مجموعة أشخاص، ويمثل الأخر تحديًا للذات، حيث يتعين على الفرد تحديد علاقته بالآخرين، وتفسير أفعالهم وكلماتهم واعتقاداتهم، وبالتالي تشكيل صورة لهم.

في رحلة أبو دلف، وهي رحلة استكشافية وقعت في القرن الرابع هجري، يمكن رؤية تمثيلات مختلفة لصورة الأخر وتمظهرات للثنائيات الضدية، فقد تضمنت الرحلة زيارة العديد من البلدان والتعرف على العديد من الثقافات المختلفة، وكانت تجربة مهمة في تشكيل صورة الأخر في عصره.

1- ثنائية الأنا و الأخر:

للانا و الأخر حظهما في الدراسات الأدبية، و تعد الأنا من أكثر الأفكار حضورا في معجم الغرب الحديث، و بهذا فنحن نتحدث عن الاختلاف بين ذاتنا الحقيقية و ذواتنا الاعتيادية، لذلك أحيانا ننظر نظرة معمقة لذواتنا لنعرف حقيقة ذاتنا، و نحن نسمع نقاشات يومية عن تقدير الذات، و حديث الذات تأتي من علماء النفس و الاستشاريين..."[1]

الأنا والأخر مفهومين حيوية في الثقافة والفلسفة والاجتماع والعلوم الإنسانية. يمكن فهم الأنا على أنها الهوية الفردية للشخص، ومن خلالها يتم تمييز الفرد عن الآخرين. أما الأخر فيمكن فهمه على أنه أي شخص آخر خارج الأنا، والذي يمكن أن يكون فردًا آخر أو مجموعة أو ثقافة، تختلف المفاهيم المتعلقة بالانا والآخر من ثقافة لأخرى، حيث تختلف القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد، على سبيل المثال في الثقافات الأفريقية، يتم التركيز على الوحدة والانتماء للمجتمع وهذا يؤثر على كيفية فهم الأنا والأخر، حيث يعتبر الفرد جزءًا من المجموعة ومن أجل الازدهار يجب أن يعمل الفرد من أجل المجتمع بشكل عام.

أما في الثقافات الغربية، فإن الأنا يعتبر أكثر أهمية من الأخر، حيث يتم التركيز على الاستقلالية والحرية الفردية والتفرد وهذا يؤثر على كيفية فهم الأنا والأخر، حيث يعتبر الفرد مستقلاً ويتم تقييمه بشكل فردي بدلاً من اعتباره جزءًا من المجموعة، بشكل عام يمكن القول إن المفهومين يتم فهمهما بشكل مختلف ويتأثران بالعوامل الثقافية والاجتماعية المختلفة، لذلك من المهم فهم كيفية تأثير هذه العوامل على فهم الأنا والأخر وكيفية تفسيرها والتعامل معها في سياقات مختلفة.

تتجلى في أبو دلف ثنائيات الأنا والآخر من خلال تفاعله مع الثقافات المختلفة التي يصادفها، يُعتبر الرحالة جغرافيًا ماهرًا حيث يتميز بقدرته على تصوير وتوثيق المعالم الجغرافية والطبيعية التي يمر بها، كما أنه شاعر ويتمتع بإحساس فني يظهر في وصفه للمشاهد والتجارب التي يخوضها.

بالإضافة إلى ذلك، يتمتع أبو دلف بمعرفة عميقة بالطب البديل، ويشتهر بقدرته على علاج الأمراض بالأعشاب والعقاقير الطبيعية هذا الجانب من شخصيته يبرز في تعامله مع سكان القبائل التي يتعامل معها خلال رحلته.

في رحلة أبي دلف يمكن ربط هذه الثنائية بالعديد من الأحداث والمواقف التي واجهها، فقد واجه أبو دلف العديد من التحديات والصعوبات في التواصل والتعامل مع السكان المحليين وثقافاتهم المختلفة، وهو ما يتطلب فهمًا عميقًا لثقافات الآخرين وتوافقًا بينه وبينهم.

[1]- طوني بينيت و أخرون، تر:سعيد الغالمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع،ط1، بيروت، لبنان،2010، ص*341*.

تتميز رحلة أبي دلف إلى الصين والهند وغيرها من البلدان بأنها تجسد الثنائية الأساسية "الأنا / الآخر" التي تتلاعب بها الثقافة والتاريخ، ففي هذه الرحلة يتحول أبو دلف من "الأنا"، أي الشخصية الفردية بمميزاتها ومعارفها إلى "الآخر" أي الغريب الذي يندرج في بيئة ثقافية مختلفة ويحاول التفاعل معها وفهمها، ومن خلال هذه الرحلة، يتم استكشاف العديد من الأنماط والقيم الثقافية وكيفية تأثيرها على التفاعل بين الأفراد والثقافات المختلفة.

و يمكننا رؤية دور الأنا والأخر في تجارب أبي دلف من خلال تفاعلاته مع الشعوب التي قابلها خلال رحلته على سبيل المثال عندما قابل الصينيين اضطر للتكيف مع ثقافتهم وطقوسهم المختلفة عن ثقافته الأصلية استخدم لغة مختلفة واتبع تقاليدهم للتواصل معهم. هذه التجارب الفردية تعكس كيف أن تفاعلات أبا دلف مع الآخرين ساعدته على فهم نفسه وثقافته بشكل أفضل ،"إني لما رأيتكما،(ومولاي، ومن أنا عبدهما) أطال الله بقائكما لهجين بالتصنيف، مولعين بالتأليف أحببت ألا أخلى دستوركما، وقانون حكمتكما من فائدة وقعت لي مشاهدتها، وأعجوبة رمت بي الأيام إليها، ليروق معنى ما تنظمانه السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب". حيث يعكس احترام الرحالة لشخصيتين، ويعزز الفكرة الأساسية للتعلّق بالآخر والتأثر به، إن استخدام كلمة "مولاي" يدل على وجود علاقة قوية بين الرحالة والشخص الذي يتحدّث إليه، وهو أحد أشكال الاحترام في الثقافة العربية، ويتضح من خلاله أيضًا اهتمام الرحالة بالكتابة والتأليف، وهذا يدل على اندماجه في ثقافة الكتابة والأدب، كما يشير أبو دلف إلى أن لدى هذين الشخصين دستورًا وقانونًا خاصين بهما، وهذا يعكس احترام الكاتب لأفكارهما وتفكيرهما، ويتعلّق هذا الاحترام بالمعرفة التي يحملانها ويتبادلانها مع الآخر، كما يؤمن الرحالة بأن العلم والمعرفة تجلب الفائدة والتأثير الإيجابي، وهذا يدل على القيم العلمية والثقافية التي يحملها.

تتجلى ثنائية الذات والآخر عن طريق وصف الأماكن والثقافات المختلفة التي يواجهها أبو دلف خلال رحلته، تتجلى الذات من خلال وصف أبو دلف لتفاصيل رحلته وملاحظاته الشخصية، يصف المواقع التي زارها بتفصيل ويعرض انطباعاته الخاصة عنها، يشير إلى المدن والجبال والأنهار والبحيرات التي يزورها وما يلفت انتباهه في كل منها.

ويتجلى الآخر عن طريق وصف أبي دلف للمواقع والمجتمعات التي يقابلها خلال رحلته، حين يتحدث عن البلدان المختلفة والثقافات المتنوعة والمعتقدات الدينية التي يواجهها، ويذكر الأشخاص والقبائل والمعابد التي يشاهدها ويتفاعل معها خلال رحلته، من خلال تجلي الذات والآخر، يتم إبراز التنوع الثقافي والجغرافي الذي يشكل الخلفية الثقافية للرحلة.

عندما يسافر أبو دلف في رحلته، يواجه تناقضات واختلافات بين ذاته والآخرين، وذلك نتيجة التباين الثقافي والاجتماعي والديني الذي يواجهه أثناء زيارته للبلدان الغريبة، يلاحظ أبو دلف أن هناك تميزًا ثقافيًا فريدًا يميز كل مجتمع تركي يزوره، أثناء رحلته، وجد أبو دلف نفسه يشهد تنوعًا كبيرًا في المعتقدات الدينية والطقوس في القبائل المختلفة، عندما يشير إلى وجود منازل عبادة في بعض القبائل وغيابها في البعض الآخر، يدرك أن الدين يلعب دورًا هامًا في حياة الناس وأن هناك تفاوتًا واضحًا في التركيز والتعبير عنه.

قد يكون لهذا التنوع الديني تأثير كبير على رؤية أبي دلف وتجعله يتساءل عن أسباب هذه الاختلافات وكيف يؤثر الدين على ثقافة القبائل وحياتهم اليومية، ويشعر بالدهشة والاستغراب تجاه تلك الاختلافات وتأثيرها على تعايش الناس وتفاعلهم في مجتمعاتهم.

هذا التفاعل المستمر مع التباين الديني يمكن أن يؤدي إلى تطور وتعمق رؤية أبا دلف للآخر حيث يتعلم أن يحترم تلك الاختلافات الدينية.

يتجلى الاختلاف الاجتماعي، يتجلى في رحلة أبي دلف عندما يزور قبيلة "الكيماك" في هذه القبيلة تعيش الأسر في بيوت مصنوعة من الجلد وتتبع نظامًا اجتماعيًا يركز على التعاون والانتماء القوي بين أفراد المجتمع. يتم توزيع المهام المنزلية والعمل الزراعي بالتساوي بين الأفراد، مما يساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والتعاون المتبادل، من ناحية أخرى يظهر التنوع الاجتماعي عندما يزور أبو دلف قبيلة "الغزّ" تمتلك القبيلة مدينة بيوتًا للعبادة ومنشآت تجارية وتعمل في الاتجاهات التجارية مع الهند والصين، يتفاعل المجتمع مع العالم الخارجي ويتأثر بالتجارة والتبادل الثقافي هذا يؤدي إلى تبني عادات وتقاليد مستوردة من ثقافات أخرى، مما يعزز التنوع الاجتماعي والتعددية في القبيلة.

1. الهوية المتنقلة:

تتشكل الهوية عادة عندما يتفاعل الفرد مع مجموعة متنوعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والشخصية، انها الطريقة التي يعرف بها الفرد نفسه ف "الهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة وإلى الأبد. إنها حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتتغاير، وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب"[2]

الهوية هي تكوين مركب للتجارب والتفاعلات النفسية والاجتماعية التي تشكل شخصية الفرد، إنها نتيجة تفاعلات معقدة بين عوامل عديدة مثل التنمية الشخصية والبيئة الاجتماعية والثقافية، تتشكل الهوية من خلال عملية مستمرة من الاكتشاف الذاتي والتحليل والاندماج في البيئة المحيطة.

تتأثر الهوية بتحولات الحياة والتحديات النفسية والعوامل الاجتماعية، قد تتعرض الهوية لأزمات وصراعات تؤثر في تصور الفرد عن ذاته ومكانته في العالم، هذه الأزمات تحدث نقاط تحول هامة في الانفعالات والمعتقدات والقيم الشخصية.

بالتالي، يمكن اعتبار الهوية مرتكزًا نفسيًا مرنًا يحتاج إلى استكشاف مستمر وتطوير دائم، فهم هذه العملية المعقدة ساعدت أبا دلف على التعامل بشكل صحي وفعّال مع تحولات وتغيرات هويته، وساعدته في بناء تصورات أكثر عمقا وتماسكا عن نفسه.

في البداية، كانت الأنا لدى أبا دلف هي الأنا المحلية أو المتمثلة في الثقافة والمجتمع الذي ولد فيه ومع بدء رحلته، تغيرت هذه الأنا لتصبح أنا الرحالة أو المغامر الذي يكتشف العالم الجديد ويتعلم من الثقافات الأخرى "لما نبا عن وطني، ووصل بي السّير إلى خراسان ضارباً في الأرض، أبصرتُ ملكها والموسَّم بإمارتها... فاغتنمت قصد الصين معهم فسلكنا بلد الأتراك."[3]

كما ظهرت تجليات أخرى للانا في الرحلة، مثل الأنا الدينية التي ازدادت قوة في الأراضي الإسلامية التي زارها أبو دلف، والانا اللغوية التي تغيرت على مر الرحلة مع تعلمه لغات جديدة وتأقلمه مع شعوب أخرى، بالإضافة إلى ذلك، يمكن ربط فكرة الأنا المتنقلة بفكرة الهوية الثقافية وتحولاتها، ففي رحلة أبي دلف، كانت هويته الثقافية تتغير وتتحول مع كل مكان يزوره وثقافة يتعلمها، وهذا يمثل بشكل أساسي فكرة الهوية المتنقلة أو الهوية المتغيرة .

[2] – اليكس ميكشليلي، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية ، دمشق،ط1 ،1993،ص7.

[3] – د. عبد الله ابراهيم عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، منشورات المجمع الثقافي، مج2، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص 231.

يتم توسيع فكرة الهوية المتنقلة وتنمية رحلة أبي دلف بطرق مختلفة. يستكشف الرحالة مفهوم الهوية وتأثير البيئة والتجارب على تشكيلها، أثناء رحلته، يتعرض أبو دلف لمجموعة متنوعة من التحديات والمواقف التي تعكس التنوع الثقافي والاجتماعي، يتعرف على أشخاص جدد، ويشارك في طقوس وعادات غريبة، ويتعلم عن تاريخ وثقافة الأماكن التي يزورها، ينغمس في هذه الثقافات المختلفة ويجد نفسه يعيش حياة مختلفة عن حياته السابقة.

مع تقدم الرحلة، ينمو أبو دلف كشخصية ويتغير تصوره للذات، يبدأ في استكشاف جوانب غير معروفة في شخصيته ويتقبل التحول والتغيير، يكتشف مواهب وقدرات جديدة في ذاته ويستخدمها لمواجهة التحديات والتكيف مع البيئة المحيطة.

بدلاً من مجرد مشاهدة أبي دلف لنفسه كمشاهد في مسرحية، يقوم بتجاوز ذلك ويصبح شخصيات مختلفة بكل تجربة يمر بها، يعيش حياة متعددة ومتنقلة، حيث يجمع بين مظاهر الشخصيات المختلفة التي يتقمصها في رحلته. يصبح لدى أبو دلف إدراكٌ أكبر للتناقضات والتباينات في العالم وفي نفسه، ويعبّر عن هذه التناقضات والتباينات من خلال تجاربه وتفاعلاته مع الآخرين، يجد نفسه متنقلاً بين مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة "ويقول: "أوّل قبيلة وصلنا إليها بعد أن جاوزنا خراسان وما وراء النهر من مُدن الإسلام قبيلة تُعرف "بالخركاه"، فقطعناها في شهر نتغذّى بالبُرِّ والشعير، ثمّ خرجنا إلى قبيلة تُعرف بالطخطاخ فتغذّينا بالشعير و"الدُّخُن" يشهد أبو دلف تنوع القيم والمعتقدات والسلوكيات، يعتبر هذا التنقل والتعرض المستمر لتلك التباينات فرصة له لاستكشاف هويته بشكل أعمق وتوسيع آفاقه.

في كل مجتمع ينتقل إليه، يتعلم أبو دلف لغتهم ويتأقلم مع عاداتهم وتقاليدهم، يستمع إلى قصصهم وتجاربهم، وبذلك يكتسب معرفة جديدة وفهمًا أعمق للبشرية وتعدد الثقافات.

ومع مرور الوقت، يبدأ أبو دلف في مزج تلك الخبرات والثقافات المختلفة مع هويته الأصلية. يصبح لديه وعي أكبر بأنه ليس جزءًا من مجتمع واحد فقط، بل أنه ينتمي للعالم بأسره.

بينما يتنقل بين المجتمعات، يشعر أبو دلف بالانتماء والاغتراب في الوقت نفسه، يعيش في حالة مستمرة من التوتر بين الاستقرار والتغيير، بين الأصالة والاندماج، وهذا يعكس حالة الهوية المتنقلة التي يعيشها.

في النهاية، يكتشف أبو دلف أن الهوية المتنقلة ليست ضعفًا أو فقدانًا، بل هي قوة وثراء. يدرك أن التنوع والتعدد في تجاربه هي ما يحدد هويته الحقيقية، وأنه يمكنه أن يكون جزءًا من كل مكان وفي الوقت نفسه جزءًا من نفسه الأصلية.

2. اكتشاف الأنا و توازنها:

تأخذ الرحلة الداخلية الفرد إلى مناطق مجهولة ومجهزة بأدوات المعرفة والتوازن، يتطلب الأمر الاستماع إلى الصوت الداخلي واكتشاف القيم والمبادئ التي تحكم حياته، يمكن لأبو دلف كرحالة أن يتوجه نحو تجارب جديدة ومختلفة في البلدان التي يزورها وذلك من خلال استكشاف ما يميزه ويجعله فريدًا.

تبرز الصورة الشخصية المتعلمة والمتعددة المواهب في تجربة أبي دلف، فهو ليس فقط شاعرًا بارعًا بل يمتلك معرفة واهتمامًا بالطب، يتمكن من الاندماج في مجالات مختلفة من المعرفة والثقافة، مما يعزز رؤيته العالمية ويمنحه تجارب متنوعة وغنية "ويتابع وصفا لاستشفاء بهذه الحمة فيقول: "من شرف هذه الحمة أن مع مجراها مجرى ماء عذب زلال، فإذا شرب منه إنسان فقد أمن الخوانيق، ووسع عروق الطحال الرقاق، وأسهل السوداء من غير مشقة"[4]

بالإضافة إلى ذلك، فإن دقة أبا دلف في رصد الملاحظات وتفاصيل البيئات التي يزورها تعكس قدرته على التأمل واستيعاب الجوانب الفريدة في كل بلد يزوره، باستكمال رحلاته وتجوله في بلدان كثيرة، ينمي أبو دلف قدرته على الانفتاح والتعامل مع الآخرين يتعلم كيفية التفاعل مع ثقافات مختلفة ويكسر الحواجز الثقافية واللغوية " ودخلت على ملكهم فوجدته فائقا في فنه كاملا في رأيه فخاطبه الرسل بما جاؤوا به من تزويجه ابنته من نوح بن نصر"[5] هذا تصوير حقيقي على تفاعله مع السكان المحليين ويتعرف على طرق حياتهم وتقاليدهم، مما يساهم في توسيع آفاقه وفهمه للعالم.

من خلال تجربته المتعددة والمتنوعة، ينمو أبو دلف بصورة مستدامة ويكتسب فهمًا عميقًا للذات والعالم من حوله، يصبح رحالة متعلمًا ومثقفًا يستطيع توصيل رؤيته وتجاربه بطريقة شاملة ومفيدة للآخرين، يتحول من مجرد رحالة إلى شخصية تأثيرية قادرة على إلهام الآخرين وترسيخ قيم التعددية والتفاهم في المجتمع.

[4] – أبو دلف، الرسالة الثانية، لأبي دلف، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1955، ص *8*.

[5] - د. عبد الله ابراهيم عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، منشورات المجمع الثقافي، مج2، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص236.

3. في ساحة المفارقة بين الأنا والآخر:

تنبثق العديد من التساؤلات الفلسفية والاجتماعية المعقدة التي تثير اهتمام العقول الباحثة، إن تفاعل الفرد مع الآخرين يُعَدُّ تحديًا مستمرًا يشكل جوهر الهوية الشخصية ويُسهِم في تشكّلها. فعندما يلتقي الفرد بالآخر، يجد نفسه متأرجحًا بين الاندماج والتمايز، الثبات والتغير.

وفي سياقنا هذا، يُبرِز العرض التاريخي الشهير لرحلة أبي دلف أمامنا صورة جلية لهذه المفارقة، إذ يُعتَبَرَ أبو دلف رمزًا متجوّلًا يمثّل الاستكشاف البشري والتلاقي الثقافي، إن رحلته البعيدة والشاقة عبر أراضٍ غير مألوفة أعطته فرصةً للتفاعل مع تنوّع الثقافات والتقاليد.

وما أضفته تلك التجارب الجديدة إلى هويته كان مدهشًا، فالتأثيرات المتبادلة بين الأنا والآخر بدأت تبرز وتعكس نموًا ديناميكيًا لهويته المتنقّلة، تلك التجارب المتنوعة والمفارقات المستجدة في مسيرة أبو دلف أدت إلى تطورات وتحوّلات عميقة في نظرته للذات وللآخر.

تتجلى في رحلات أبو دلف مجموعة من التفاعلات والتبادلات المتنوعة، تعكس المفارقة بين الأنا والآخر في إطار الثقافات والبيئات المختلفة يتضح هذا الاختلاف من خلال عدة عناصر، منها الوصف الطبيعي، الاستفادة من الموارد، الاختلاف الثقافي، والتجربة الشخصية.

تميزت الأنا الرحالة أبو دلف، شخصية تميزت بميولها الأنطولوجية وحماسها للاستكشاف والاستطلاع، سعت للتنقل عبر عديد من البلدان والثقافات المختلفة، ومن هنا نشأت التباينات الجوهرية بين ذاتها وبين البلدان والأمم التي تواصلت معها، كانت هذه التباينات تستمد جذورها من التعددية الثقافية والتصورات الاجتماعية والأعراف المتفاوتة التي تعمقت في هذه المناطق المتعددة.

عندما جال في بقاع الأرض البعيدة، لاحظ تنوعًا شاسعًا في العادات والتقاليد والتصوّرات الروحية، استشعر ما تتمتع به القبائل الأصلية من أساليب حياة منفردة وشرائع مستوحاة وتعمق في طقوسهم المميزة وتحدياتهم الروحية المتأصلة " في تجربة التعامل مع قبيلة البجا، ذكر أبو دلف: "ويسجدون لملكهم، ويعظّمون البقر، ولا تكون عندهم ولا يملكونها تعظيمًا لها" يعكس هذا الوصف الاختلاف الثقافي والديني بين قبيلة البجا وأبو دلف، وتصادم القيم والمعتقدات بينهم. فيما يتعلق بقبيلة الجكل، قال أبو دلف: "يتزوّج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه". يظهر هذا الوصف اختلافًا كبيرًا في المفهوم الاجتماعي والأخلاقي للنكاح بين قبيلة الجكل والمفهوم العام لأبو دلف، استبشر بتلك العجائب الثقافية وعبقرية التفاعلات الاجتماعية المتفاوتة وحِنكة الزينة والتطويق، لقد تساءلت هذه التباينات السميّة عن فرادة وعدم تجانس الثقافات في أرجاء عالمه.

عندما تجوّل أبو دلف في بلدانٍ متعددة، لاحظ تباينات مستوى الحياة والمؤسسات الاجتماعية، فصادفه نظم ديمقراطية حيث يتساوى الجميع في الحقوق والحريات، وصادفه أنظمة ذات مركزية صارمة تتسم بالطغيان والاختلاف الواضح في الفقر والثروة.

بالإضافة إلى ذلك، لاحظ تباينًا ملحوظًا في المناظر الطبيعية والموارد البيئية. واكتشف تنوعًا بديعًا في تضاريس الجبال والوديان والشواطئ، استمتع بتجربة رؤية كائنات حية متنوعة وتكيفات بيئية فريدة، استمتع بمشاهدة تنوع الأنواع النباتية والحيوانية وتكيّفاتها البيئية المدهشة، تجوّل بين عرى الحياة البرية في بيئاتها الأصلية، مثل النمور الهندية في غابات الهند، استوعب أيضًا التوازنات البيئية المعقدة وتأثيرات التغيرات المناخية على هذه المناطق.

الوصف الطبيعي، تعرض الرحالة أبو دلف للتباين بين بيئة الرحالة والبحيرة والجبال المحيطة بها، يلاحظ الرحالة أن البحيرة ليست مثمرة بالنباتات والحيوانات، مما يميزها عن بيئة الرحالة (الأنا) التي تتواجد بها النباتات والحيوانات. يمكن تفسير هذا التباين على أنه انعكاس لاختلاف العناصر الطبيعية المحيطة بالانا والآخر.

الاستفادة من الموارد، يلاحظ الرحالة استفادته من موارد البحيرة والمنطقة المحيطة بها، مثل استخدام الملح واستغلال المياه العجيبة للعلاج. هنا يتم التأكيد على تفاعل الأنا مع العناصر الطبيعية المتاحة والاستفادة منها، يعكس ذلك قدرة الرحالة على التأقلم مع بيئة الآخر واستغلال الموارد المحلية بذكاء وحكمة.

الاختلاف الثقافي، يتحدث الرحالة عن وجود ثقافة وعادات مختلفة في وادي الكرد وتطبيق العلاج بالحمة العجيبة، يشير هذا إلى الاختلاف بين الأنا والآخر من حيث الثقافة والممارسات وكيفية تعاملهم مع الطبيعة والعلاج، يكمن الفارق في النظرة المختلفة للعالم والمعتقدات المتعلقة بالشفاء والعلاج، حيث يتبنى الأنا منهجًا مختلفًا عن الآخر في التعامل مع هذه الممارسات العلاجية الفريدة.

التجربة الشخصية، يوثق الرحالة تجربته الشخصية مع الحمة العجيبة في وادي الكرد وكيفية شفائه من الأمراض والجروح" وجانب من هذه البحيرة يأخذ إلى موضع يقال له وادي الكرد فيه طرائف من الأحجار وعليه مما يلي سلماس حمى شريفة جليلة قليلة الخطر، كثيرة المنفعة"[6] يمكن رؤية هذه التجربة كتفاعل بين الأنا والآخر في سياق الصحة والعلاج. يعكس هذا التفاعل قدرة الأنا على استكشاف وتجربة علاجات جديدة والاستفادة من تجارب الآخرين للتحسين والتطور الشخصي.

[6] - أبو دلف، الرسالة الثانية، لأبي دلف، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1955، ص8.

تُظهر المفارقة بين الأنا والآخر تحديًا فلسفيًا وثقافيًا يجب على الفرد التعامل معه بحكمة وذكاء، عندما يتمكن الفرد من تخطي تلك المفارقة وتحويلها إلى فرصة للنمو الشخصي والتطور الثقافي، فإنه يفتح بابًا للتغيير والتحول في رحلته الشخصية.

1- دار الإسلام و دار الحرب:

يشكل الاختلاف بين الأنا والآخر أحد التحديات الأساسية في علاقاتنا الإنسانية، فالانا تعبّر عن الهوية والثقافة والقيم التي نتبناها، بينما الآخر يمثل الآخرين الذين يختلفون عنا في العقيدة والثقافة والتفكير. يتميز هذا الاختلاف بالتنوع والغرابة، وقد يؤدي إلى التوترات والتصادمات بين الثقافات والمجتمعات.

من خلال التحول إلى مفهومي دار الإسلام ودار الحرب، يتم تجسيد هذا الاختلاف بشكل أكثر تحديدًا.

دار الإسلام "هي كل بلد أو بقعة تعلوها أحكام الإسلام والغلبة والقوة والكلمة فيها للمسلمين وإن كان أكثر سكان هذه الدار من الكافرين"[7]

دار الحرب "وهي التي ليس بينها و بين دار الإسلام صلح أو هدنة، ولا يشترط قيام الحرب فعليا لصحة هذه التسمية، بل يكفي عدم وجود صلح كما ذكرنا، بما يعني أنه يجوز للمسلمين قتال أهل هذه الديار وقتما شاءوا، ومن هنا سميت دار حرب"[8]

تفسير مصطلحي "دار الإسلام" و"دار الحرب" يعكس الواقع السياسي والاجتماعي لتلك الفترة التاريخية، وقد يختلف التفسير والتطبيق في سياقات زمنية وجغرافية مختلفة حسب العوامل المحددة للعلاقات بين الدول والثقافات والأديان.

كانت العصور التي عاش فيها أبو دلف في تلك الفترة التاريخية، كانت الممالك تتنافس على السيطرة على الأراضي والموارد وكان الدين يلعب دورًا هامًا في تحديد العلاقات بين الدول والشعوب ف "فكرة دار الإسلام هي التعبير الأكثر وضوحا لمفهوم المركزية الإسلامية، وقد سلم الجغرافيون بهذه الحقيقة، و جعلوها موجها لتصوراتهم. لم ينج أحد من ضغطها الواعي و غير الواعي في بناء فرضياته، وتحديد منطلقاته في النظر إلى الذات و الآخر"[9]

في تحد شديد للعقول والفكر، يتجلّى في رحلة أبي دلف الواضحة والمبهرة مفهوم دار الإسلام بمعقولية وتعقيد، يمتد أمامها مسالكٌ مجدولة تفيض بالغموض والرموز، تُظهر بوضوح حجم سطوتها المرموقة في فهم المركزية الإسلامية. ينبض بها الجغرافيون، مترنحين في مقاومتهم، إذ يستحوذون عليها لتصوير أفقياتهم الإبداعية. لم يفلح أحدٌ في الإفلات من ضغوطها الواعية واللاواعية، في بناء أطروحاتهم، وكشف مدى استعدادهم للنظر إلى الذات والآخر.

---

[17] – فارس بن أحمد آل شويل الزهراني، سلسلة العلاقات الدولية في الإسلام ، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية ، ص11.

[8] – المصدر نفسه، ص*22*.

[9] – د. عبد الله ابراهيم، المركزية الإسلامية ، (صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص*43*.

يُسلط الضوء أيضًا على الاعتراف الجغرافي بأهمية فكرة دار الإسلام وكيف أن الجغرافيين يُعتبرونها حقيقة لا غنى عنها في تحليل الجغرافيا الإسلامية. يدرسون تأثيرها في بناء الفروض والفرضيات وتحديد منهجياتهم في الدراسة، وينظرون إلى الممارسات والتفاعلات الاجتماعية والثقافية في الإسلام بناءً على هذا المفهوم المركزي.

عندما ينطلق الرحالة أبو دلف في رحلته، ينقسم العالم حوله إلى دار الإسلام ودار الحرب. دار الإسلام هي المناطق التي يسود فيها السلام والاستقرار، حيث يتم تطبيق الشريعة الإسلامية ويحكم فيها المسلمون. ومقابل ذلك، فإن دار الحرب تمثل المناطق التي تعاني من النزاعات والصراعات وغالبًا ما يحكمها غير المسلمين.

بمجرد أن يخطو قدماه في دار الإسلام، يشعر أبو دلف بالأمان والسكينة "وكان مسيرنا فيهم شهرا في أمن وسلامة" يرى فيها مظاهر الإسلام النموذجية، حيث يتمتع بالحرية الدينية والعدالة الاجتماعية يشدد أبو دلف على الانتقاء الدقيق للكلمات والمصطلحات المناسبة لتعبير عن إيمانه وشعوره بالسعادة بالعيش في هذه البيئة الإيجابية والملهمة في ساحة المصطلحات الفلسفية والجغرافية، ينتشر نظير ضد نظير في رحلة أبو دلف، حيث تتصارع أيديولوجيات متناقضة لتشكل نقيضاً فكرياً لدار الإسلام، وهو ما يُعرف بـ "دار الحرب". تتجلى في هذا النقيض الشامل تناوُلات الفكر والثقافة والتصوُّرات المتضاربة بين العوالم المختلفة.

ومع ذلك عندما يتعرض أبو دلف لدار الحرب يشعر بالتوتر والخوف، يجد نفسه في بيئة معادية وغير آمنة، حيث يسود الاضطراب وعدم الاستقرار، يستخدم أبو دلف لغة دقيقة للتعبير عن قلقه ورؤيته المتشائمة لتلك التجارب المحفوفة بالمخاطر.

دار الإسلام تتجلى فيها التنظيمات الدينية والنظم القانونية المبنية على المبادئ الإسلامية، بينما تشكل دار الحرب البؤرة التي يسودها الانفصال والتنافس والتمرد على هذه القوانين. تندلع في تلك الأرض النزاعات السياسية والصراعات الثقافية والاجتماعية، مما يفاقم التوترات بين المجتمعات المسلمة وغير المسلمة.

تعكس رحلة أبا دلف معاني هذا النقيض العميق، حيث يصبح الفرد على مفترق طرق تستلزم منه اختيار الانتماء والتعامل مع العالم المحيط. تتماهى وتتداخل في هذه الرحلة المشاعر المتناقضة من الانتماء والانغراس في دار الإسلام والاستكشاف والمواجهة مع دار الحرب. تتعاظم التحديات الفلسفية والروحية لتجاوز هذا النقيض، وتحقيق السلام الداخلي والتوازن بين الذات والآخر.

يتراوح الاختلاف بين دار الإسلام ودار الحرب في تجربة أبو دلف بين الأمان والاستقرار من جهة، وبين التوتر والخوف من جهة أخرى، يرسم أبو دلف صورة واقعية ودقيقة لهذه التقسيمات المعقدة ورؤيته الشخصية لتلك البلدان، وذلك باللجوء إلى تعبيرات لغوية توضح تلك المشاعر والانتقالات المتناقضة.

في رحلته وجد أبو دلف نفسه في عوالم مختلفة وبلدان متنوعة، حيث تعايشت أديان وثقافات مختلفة واستخدم مصطلح "دار الإسلام" للإشارة إلى المناطق التي تسودها الإسلام وحكم الشريعة الإسلامية، حيث يعيش المسلمون ويتمتعون بحماية الدولة الإسلامية وحقوقهم المدنية، ويمكن أن يفهم من رحلة أبو دلف أن دار الإسلام تشمل الممالك التي تحكمها الحكومات الإسلامية وتمارس الشريعة الإسلامية كأساس للقوانين والحكم.

من ناحية أخرى، استخدم أبو دلف مصطلح "دار الحرب" للإشارة إلى المناطق والممالك التي تخضع لسيطرة غير المسلمين وليست تحت سيطرة الدولة الإسلامية يمكن تفسير هذا المفهوم بأنه يعبر عن المناطق التي تعتبرها الدولة الإسلامية في حالة حرب مستمرة أو تحت الاحتلال وحيث لا يسود الإسلام والشريعة الإسلامية كنظام قانوني.

ذكر أبو دلف تفاصيل حول الأماكن التي زارها والدول التي عبرها وقد أشار إلى وجود دار الإسلام ودار الحرب في بعض الأماكن التي سافر إليها، وبينما يتجاوز أبو دلف بلاد البجا، يصل إلى أرض الصِراعات والمواجهات "دار الحرب" حيث تتصارع القبائل وتتجاذب الأيدي الهمجية، "فالعالم خارج دار الإسلام_ كما قامت تلك المرويات بتمثيله_غفل، مبهم، بعيد عن الحق وهو بانتظار عقيدة صحيحة لإنقاذه من ظلاله"[10]

في الكون الخارج عن حضن دار الإسلام، حيث تعمل هذه السرديات المجسدة على تصويره، تسود حالة من الغفلة العميقة والتيه المشوش، حيث يبتعد عن الحق وينتظر عقيدة صحيحة تخلصه من ظلماته المظلمة، تلك العوالم المتنافرة تعيش في قعر الجهل والجفاء متجاوزةً حدود الفهم والتفكير الصائب، في هذا السياق المعقد والصعب، يحتاج العالم إلى عقيدة صحيحة وثابتة تنقذه من متاهاته المظلمة وتُعيد له البصيرة السليمة.

يصف أبو دلف قبيلة "البجناك" وهي تلك القبيلة المعروفة بوحشيتها وجماحها قائلاً: "طوال اللحى، أولي أسبلة همج يتعامل بعضهم بعنف مع بعض ويفترش أحدهم المرأة على ظهر الطريق، يأكلون الدُّخن فقط"، يتضح من خلال هذه الوصفة النمط الهمجي لهذه القبيلة، حيث يتميزون بسلوكيات متوحشة وتصرفات غير حضارية، ويؤدون الأتاوة إلى "الطخطاخ"، ويعتبرون من المشركين الذين ليسوا جزءًا من المجتمع الإسلامي.

الإشارة إلى مدينة باكو وعدم وجود الإسلام فيها يقول أبو دلف إنه لا يوجد إسلام وراء مدينة باكو وهذا يمكن فهمه بأن المدينة تنتمي إلى "دار الحرب"، أي أرض تخضع للحكم العلماني ولا تطبق الشريعة الإسلامية "هم أهل غدر و دناءة أخلاق، ويلحق القذارة و النجاسة بهم باعتبارهما يتعارضان مع قيم الطهارة الإسلامية"[11]

[10] – د. عبد الله ابراهيم، المركزية الإسلامية،(صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص5.

[21] –كمال بولعسل، رحلة أبي حامد الغرناطي، (دراسة في فضاء الرحلة)، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، ص263.

عندما يتصرف الأشخاص بغدر ودناءة، فإنهم يقومون بخرق هذه القيم ويتجاوزون حدود النزاهة والنقاء. يترتب على ذلك أن تنتشر القذارة والنجاسة في السلوك والتعاملات، سواء كانت قذارة جسدية أو روحية.

وجود سور عظيم وحمامات شديدة الحرارة في باكو: هذه التفاصيل يمكن أن ترتبط بالأماكن الاستراتيجية والعسكرية في "دار الحرب"، حيث يشير السور العظيم إلى وجود تحصينات وأعمال دفاعية، وتصلح الحمامات ذات الحرارة الشديدة للاستخدام في الأغراض العسكرية.

"مقام الباب" الذي يصفه أبو دلف يعتبر "مقام الباب" بلدًا يقع خارج سيطرة الحكومة الإسلامية وقوانين الشريعة الإسلامية في هذه المنطقة، يُسمح للأقليات غير المسلمة بممارسة أديانهم والعيش وفقًا لقوانينهم الخاصة. يكون هناك طابع من التوتر والصراع بين السلطات الإسلامية والمجتمعات غير الإسلامية في هذه المناطق.

من جانب أخر يعتبر خراسان منطقة في دار الإسلام، حيث يسود فيها الحكم الإسلامي وتُطبق الشريعة الإسلامية يوجد بها حاكم مسلم يُطاع ويستلم الخراج (الجزية) من السكان.

وعبر على قبيلة الخزكاه واعتبرها جزءًا من دار الإسلام حيث يؤمن أهلها بالإسلام ويتخذون الإمام نقطة اتصال لهم بالدين والمجتمع الإسلامي يستخدمون الأتاوة ويؤدّون الخراج إلى القبائل الأقرب إليهم من الخراسان، إضافة إلى قبيلة الطخطاخ حيث تتبع الإسلام وتدفع الأتاوة إلى الخزكاه وتعاونوا في غزو المشركين من بعيد عنهم، والمدينة التي يصفها الرحالة وهي "سندابل" في هذه المدينة، يتم تطبيق القانون الإسلامي ويحكمها السلطان الإسلامي يعيش المسلمون في سندابل وفقًا لتعاليم الإسلام ويتمتعون بالحقوق والحماية المقدمة لهم في دار الإسلام يتمكنون من ممارسة العبادة الإسلامية بحرية والاستفادة من القوانين الشرعية.

أثناء تصوير رحلة أبا دلف، يتم تجسيد فكرة دار الإسلام بشكل مرئي وجذاب. يتم استخدام الصور والمشاهد لإيصال المفهوم بطريقة بصرية قوية. يتم تصوير المساجد الجميلة والمعابد والمواقع الدينية الأخرى التي تمثل مكانة الإسلام المركزية في الحياة اليومية للمسلمين "والدولة بالمولتان للمسلمين، وملاك عقرها ولد عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمسجد الجامع مصاقب لهذه القبّة، والإسلام بها ظاهر، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيها شامل".[12]

يُعبِّر عن أن المدينة المشَارَ إليها بـ "الدولة بالمولتان للمسلمين" تُصَنَّف ضمن دار الإسلام، أي إقليم يُمَارَس فيه الإسلام سيادته وتُطبَّق فيه أحكامه الشرعية.

[12]– د. عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية، (صورة الآخر في المخيال العربي الاسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2001،ص241.

تُذكر أيضًا بعض العناصر المهمة في دار الإسلام، مثل "المسجد الجامع" والذي يعد مركزًا للعبادة والتجمع للمسلمين والتعبير "مصاقب لهذه القبّة" يعني أن المسجد يقف جنبًا إلى جنب مع هذه القبة، ويمكن فهمها كرمز للسلطة والأهمية في الدين الإسلامي.

وأخيرًا، يشير ذكر "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها شامل" إلى أن دار الإسلام هذه تتمتع بتطبيق شامل لتعاليم الإسلام، بما في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي المفاهيم الدينية التي تشجع على الفعل الصالح وتحث على تجنب المعاصي.

باستخدام هذا التصوير الجذاب، يتم تحفيز فهم أبا دلف وإلهامه لاكتشاف أعمق لفكرة دار الإسلام والتأثير الذي يحمله في الجغرافيا الإسلامية يشعر بالاندماج والانتماء إلى هذا العالم المتنوع والمدهش، ويتعلم قيم الاحترام والتسامح والتعاون التي تميز المجتمعات الإسلامية.

نخلص في الأخير أنه عندما نتباعد عن مجتمعات الإسلام، تزداد مآسي البربرية وتفاقم الانحلال الأخلاقي يمكن فهم هذه النظرة من منظور متمرس بالفلسفة الدينية حيث يعتبر الإسلام ركيزة أساسية تدفع نحو السلام وتعزز الأخلاق النبيلة. ومن ثم، يتجلى زيادة الوحشية والعنف في المجتمعات المتخلفة عن تلك القيم والمبادئ الإسلامية المتعالية.

1. ثنائية الكفر و الإيمان:

تنقلنا مفاهيم دار الإسلام ودار الحرب إلى مناقشة أعمق حول الكفر والإيمان. في دار الإسلام، ينظر إلى الإيمان بالله والالتزام بالشريعة الإسلامية كأساس للحياة، في حين يُنظَر إلى الكفر على أنه رفض أو انحراف عن الإيمان.

الكفر والإيمان هما مصطلحان دينيان يستخدمان لوصف اعتقادات الأفراد والتوجهات الروحية في العقيدة، هناك تعاريف واسعة لكلا المصطلحين وقد يختلف فهمهما وفقًا للتقاليد الدينية المختلفة، في السياق الإسلامي يتم استخدام هذين المصطلحين لوصف الاعتقادات الدينية والتوجهات الروحية حيث "يعتبر الكفر في الإسلام هو الإنكار الصريح والقاطع لوحدة الله ورسالته، وعدم الإيمان بالرسل والكتب السماوية، وينظر إليه على أنه أسوأ الذنوب. والإيمان بالنسبة للمسلمين هو الإيمان بوحدة الله ورسالته والتزامه بتعاليم الدين الإسلامي.

الإيمان متضمن للإقرار بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، والكفر تارة يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به، وهو من هذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به، وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به، والأصل في ذلك هو الإخبار بالله وبأسمائه، ولهذا كان جحد ما يتعلق بهذا الباب أعظم من جحد غيره، وإن كان الرسول أخبر بكليهما، ثم مجرد تصديقه في الخبر، والعلم بثبوت ما أخبر به، إذا لم يكن معه طاعة لأمره لا باطناً ولا ظاهراً، ولا محبة لله ولا تعظيم له، لم يكن ذلك إيماناً"[13]

يُذكر أن الرحالة أبا دلف قد قام برحلة استكشافية عبر مناطق مختلفة وتفاعل مع قبائل مختلفة وأعراق متنوعة في وصفه لهذه القبائل، يبرز الاهتمام بالعبادة والاعتقادات الدينية والممارسات الروحية في كل منها.

في رحلة أبي دلف العجيبة عبر البلدان المختلفة، انداحت الأفكار المتناقضة بين الكفر والإيمان كظلال غامضة. استوقفته هذه الرحلة الشاقة في تأملات عميقة حول طبيعة الإيمان والشك، وتأثيرهما على الإنسان ومصيره.

عبر تجواله في الأماكن المقدسة والمحرمة، واجه أبو دلف تجارب فريدة واشتباكات مفزعة بين قوى الإلهية والشياطين، "والتي تقابل بالرفض و العزوف عما يمكن أن يتعارض مع معايير الإسلام و معتقداته الأساسية في مواجهة هذا الاحتجاج والتنصّل، تتجلى العقبات التي تواجه أي مفهوم قد يخالف أركان الإسلام وعقائده الأساسية"[14] إنها المصاعب التي تنطلق من التشدد العقائدي والرفض القاطع لكل ما يتعارض مع معايير الإسلام.

---

[13] – مجموع الفتاوى، *533/7 ، 534* .

[14] – كمال بولعسل، رحلة أبي حامد الغرناطي، (دراسة في فضاء الرحلة)، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، ص*262*.

ترفض هذه العقائد الأساسية أي فكرة تهدد الهوية الإسلامية وتتعارض مع القواعد الدينية المترسخة. تُعتبر هذه الآفاق البديلة والرؤى الجديدة تهديدًا للتوازن والاستقرار الفكري والمعتقدات الجذورية، تعتبر هذه المقاومة الشديدة والامتناع عن استيعاب أفكار متعارضة بمعايير الإسلام مظهرًا للحفاظ على التماسك والتماشي الديني، تُقابل هذه الأفكار الغريبة بالرفض الصارم والابتعاد الثاقب عن أي تداخل قد يعطل ترسيخ المعتقدات الأصيلة، استعرت الأفعال الفاحشة والطقوس المظلمة في أجواء تغلفها السحر والخيال، تداخلت الصلابة العقلية والقوة الروحية، وتبادلت المناظر الشاهقة بين الخرافات والحقائق.

استرسلت الرحلة بتصاعد الجدالات والمناقشات الفلسفية المعقدة، تراوحت بين مفهوم الخالق العظيم والحاكم العادل، وبين شبح الشك والانحراف، تمتدح تلك الرحلة بألفاظ غريبة تختزن تعبيرات مثيرة وأفكار تفوق حدود المألوف :"هم أصحاب قمار، يقامر الواحد صاحبه في امرأته وابنته وابنه وأمّه، فما دام في مجلس القمار فللمقمور أن يفادي ويفكّ، فإذا انصرف المقامر فقد حصل له ما قمر به يبيعه من التجّار كما يريد"[15]

توجد قبيلة تعبد الأصنام المصنوعة من الخشب، وهذا يشير إلى أنهم ما زالوا يعتنقون عقائد مشركة وغير مسلمة، وفي القبيلة الأخرى، تجد أنهم يُعبدون النجوم ويعتبرون بعضها آلهة.

وفي القبائل الأخرى، تُظهر الاعتقادات الدينية تنوعًا كبيرًا، مثل القبيلة التي يُعبدون الجوزاء والزهرة والأشجار هناك أيضًا إشارات إلى القبائل التي تعتنق النصرانية وتمارس عبادة الصليب:"صِباح الوجوه، يتزوّج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه، وليسُوا مجوساً، ولكن هذا مذهبهم في النكاح، ويعبدون سهيلاً، وزُحل، والجوزاء، وبنات نعش، والجدي، ويُسمّون الشعرى اليمانية ربّ الأرباب، وفيهم دعة، ولا يرون الشّر، وجميع من حولهم من قبائل التُّرك تتخطّفهم وتطمع فيهم" [16]

بصورة عامة، يُمكن استنتاج أن الرحلة تبرز الاختلافات الثقافية والدينية بين القبائل المختلفة، ويُظهر عمق الإيمان في بعض القبائل والتدين العالي الذي يتجاوز الحدود الجغرافية والدينية المعروفة في المنطقة.

من خلال التوصيف السردي السابق يتضح وجود تناقض بين مدينتي "الكلوم" والمولتان فيما يتعلق بالكفر والإيمان، حيث توصف مدينة "الكلوم" بأنها بيت عبادة لأهلها، وأنه لا يوجد فيها صنم أو تمثال. يذكر أيضًا أن

[15]- د. عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية، (صورة الآخر في المخيال العربي الاسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2001،ص234.

[16]- المصدر نفسه 232.

الكافور والعود واللّبان والقتاد ينتسبون إليها، وأن أصل شجرة العود تنمو في جزائر خلف خط الاستواء هذا يشير إلى وجود مجتمع متدين في المدينة، حيث يعتنقون الإيمان ويُمارسون عبادتهم بدون تصوير الآلهة والأصنام.

بالمقابل مدينة المولتان توصف بأنها مدينة عظيمة وجليلة القدر عند أهل الهند والصين، وتحتوي على القبة العظمى والصنم الأكبر يوصف الصنم بأنه ضخم ومعلق في جوف القبة، ويُعبد ويُحترم من قبل السكان. يشير هذا إلى وجود عبادة للأصنام وتصوير الآلهة في هذه المدينة وبالتالي يمكن اعتبارها مدينة تحتضن الكفر.

بناءً على ما تم رصده في رحلة أبي دلف يمكن اعتبار مدينة "الكولم" مدينة مؤمنة حيث يتمارس الإيمان بدون تصوير الآلهة، بينما يمكن اعتبار المولتان مدينة تحتضن الكفر وعبادة الأصنام يظهر تناقض الأفكار والممارسات الدينية بين المدينتين وهو أمر شائع في البلدان والمجتمعات المختلفة حول العالم.

في ختام هذه الرحلة الروحية، يجتمع الكفر والإيمان في قلب أبو دلف، مثل مرايا متعاكسة تعكسان صورته الشخصية.

2. ثنائية الألفة و الإغتراب:

تعتبر قضايا الكفر والإيمان أمورًا شخصية ودينية مرتبطة بالفرد ومعتقداته، ومع ذلك فإن هذه المفاهيم قد ترتبط أيضًا بالشعور بالألفة والاغتراب.

في رحلة أبي ، تجلت الألفة والاغتراب كمفاهيم فلسفية معقدة تحمل في طياتها معانٍ عميقة وتحديات وجودية، تعبّر الألفة عن التواصل والانسجام الروحي بين مسعر والثقافات التي يتفاعل معها، في حين تعكس الاغتراب الفراغ والفصل عن الواقع والهوية الأصلية.

يظهر التناقض الفلسفي بين الألفة والاغتراب من خلال مواجهة أبي دلف للثقافات المختلفة، مثل الصينية والهندية والخرسانية والتركية والأذربيجانية والأرمينية تتناوب في رحلته بين الشعور بالتواصل والارتباط العميق مع هذه الثقافات وبين شعور البعد والغربة والاضطراب الفكري.

الألفة تجسد في تجاربه اللحظات التي يشعر فيها بالتفاهم والاندماج والتقارب الروحي مع الأشخاص والعادات والتقاليد المحلية، يرتبط ذلك بفكرة الوجود الشامل وتواصل الذات مع العالم الخارجي، وفي هذا السياق، ينبثق الوعي الذاتي وتجربة التجانس والمشاركة السوسيوثقافية كأساس للألفة "وشائج قائمة بين محيط الإنسان و وعيه بالمظاهر الطبيعية و ما تولده لديه من مشاعر البهجة و الألفة"[17]

عندما يتصل الإنسان بالمظاهر الطبيعية، فإن هناك تفاعلًا خاصًا يحدث بينه وبين العناصر الطبيعية المحيطة به، وتأتي الألفة كنتيجة لتلك الروابط القائمة هذا الشعور يغذي الروح ويحفز الشعور بالهدوء والتوازن الداخلي، ويعزز الشعور بالتواصل والتوازن مع البيئة المحيطة.

في عمق رحلة أبي دلف تكونت الألفة كمظهر من مظاهر الترابط الروحي بينه وبين الطبيعة الساحرة، تعبر الألفة عن حالة من الانصهار الجوهري والتوافق الروحي بين الإنسان والكون المحيط به، في هذا السياق، يتلاشى الانفصام الشعوري بين الذات الفردية والطبيعة

تنطلق الألفة من استنباط أبو دلف لقوانين الطبيعة ومنطقها الفلسفي، ينظر إلى المظاهر الطبيعية والأحداث بعينين تشبه عين الفيلسوف، يحاول الوصول إلى جوهر الظواهر وفهم النظام الكوني العميق فيقول:" وأرمينية قليلة الآثار وبها معدن مرقشيثا صفراء (أي كبريتور الحديد) والذي بأرض الشيز في القرية المعروفة بنمراور خير منه، ولا أظن بأني رأيت مثله . وتتصل أرمينية بجبال الحور ثم بجبال داس ثم بالحرانية ونريز"

[17]– د. عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية، (صورة الآخر في المخيال العربي الاسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2001،ص235.

بواسطة الألفة، يتلاشى الشعور بالاستغراب والغربة تجاه الطبيعة، ويستجيب أبو دلف بحساسية وفهم متعمق لتركيبة الكون، وهكذا تشكلت الألفة في رحلة أبي دلف مع الطبيعة كنتيجة لمسارات الفهم الفلسفي والتفاعل الروحي العميق.

يعبّر الرحالة عن الألفة أيضا عندما يزور المواطن التي تحكمها الشريعة، ينشأ شعورٌ بالانسجام والتآزر بينه وبين المجتمع الذي يتبنى قوانين وتعاليم دينية، يتجلى الروح الألفة بمشاعر الانتماء والتعاطف تجاه المجتمع والقيم الدينية المشتركة.

مع وجود الشريعة، تظهر المحاكمة الروحية لأبي دلف، حيث يتساءل عن صحة وقوة إيمانه وكفايته في مواجهة تلك الثقافة المحيطة به، كما يرغب في التأكد من تمسكه بالمبادئ والقيم الدينية في ظل الظروف التي يواجهها.

في أعماق الأقاليم التي أستكشفها، حيث تتوارى العجائب وتتناغم القصص، نجد أبو دلف يسرد عن مجتمعٍ يتسم بالألفة والترابط، كأوراق شجرة يتداخل طياتها في صميم الإنسانية، هناك وسط هذا الفضاء المدهش استقر بعض إخوانه، تلك النفوس العاشقة للصدق والشفافية، حيث ظهرت خصالٌ تكشف عن مقامٍ نبيلٍ وأخلاقٍ مترفعة، وأمام عينيه تجلى روعة الطبيعة في سمات أهل تلك الأرض، فقد رواها بأقواله قائلاً: "أقام عندهم بعض إخواني وزعم أنه لا غدر فيهم، وقال إن الرجل منهم إذا كان فقيراً لم يجب أن يراه أهل بلده وهذه الخلة من كرم الطبيعة وصفاء الطينة".[18]

"والدولة بالمولتان للمسلمين، وملاك عقرها ولد عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمسجد الجامع مصاقب لهذه القبّة، والإسلام بها ظاهر، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيها شامل".

عندما زار أبو دلف المولتان في رحلته، شعر بحالة عميقة من الألفة والانتماء. تأثر بمشاهدة المدينة الإسلامية ومعالمها الدينية، مثل المساجد والأماكن المقدسة. هذه المشاهد أعادت إليه ذكريات مدينته الإسلامية الأصلية، حيث كان يعيش في بيئة دينية ويشهد العبادة والتفاني في الدين يوميًا.

عندما شاهد الأشخاص الملتزمين بممارسة الإسلام في المولتان، ورآى التفاني والانسجام بين السكان والدين، شعر بالارتباط العميق بمدينته الإسلامية وبالألفة نحو العادات والتقاليد الدينية. كانت هذه الأجواء تذكيرًا حارًا بأصوله الإسلامية ومدينته التي تحمل قيمًا ومعتقدات دينية مشابهة.

[18] - أبو دلف، الرسالة الثانية، لأبي دلف، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1955، ص9.

بالتالي، فإن زيارة المولتان والتفاعل مع الإسلام في المدينة أعادت إلى أبي دلف الشعور بالألفة والارتباط بمدينته الإسلامية، مما أضفى على رحلته بعدًا روحانيًا وثقافيًا يعكس قوة الروابط الدينية والثقافية في تجربته الشخصية.

عندما نتحدث عن الألفة في سياق رحلة أبو دلف، لا يمكن تجاهل العلاقة بينه وبين النسب الأموي فبعض المصادفات والتواجد في المناطق التي يسكنها أتباع النسب الأموية تضفي طابعًا خاصًا على رحلته وتعزز الألفة التي يشعر بها

يعتبر النسب الأموي من أعرق العائلات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، حيث حكمت الخلافة الأموية لمدة زمنية قدرها 91 سنة، وعندما يذكر أبو دلف أن حاكم المدينة التي يتوجه إليها يدعي النسب الأموي، فإن ذلك يشير إلى العلاقة الوثيقة بينهما وربما يعزز الشعور بالألفة والقرابة الأسرية المحتملة.

ومن المعروف أن العلاقات العائلية والنسبية قد تلعب دورًا مهمًا في تعزيز الألفة والانتماء، فقد يشعر أبو دلف براحة وترابط مع حاكم المدينة التي يدعي النسب الأموي، وقد يتشاركان قيمًا وثقافة مشتركة تعزز الشعور بالألفة والانتماء.

"الإنسان في ظل الحضارة الأوروبية كائنا مكبوتا مشوها قلقا مدفوعا بدوافع لا كنهها، موزعا في صلب داخله، مطاردا بالشعور بالذنب، متنكرا لرغباته الطبيعية، مصابا بالتوهم، منشغلا بصحته النفسية"[19]

إن هذه الوصفة النفسية المعقدة التي تشير إلى التوترات والتحديات التي يمكن أن يواجهها الإنسان في السعي للتوازن بين الاحتياجات الشخصية والمتطلبات الاجتماعية في حضارة معينة، فالاغتراب ينبعث من حالة الفصل والانفصال التي يعيشها مسعر بن المهلهل في بيئات غريبة وثقافات مختلفة، يجد نفسه محاطًا بالعجز والشوق للوطن والتواصل الفعّال مع الواقع الجديد، يطرح الاغتراب تساؤلات حول الهوية والمعنى والتناغم الذاتي، مما يدفعه للتأمل في الذات والعالم من منظور فلسفي عميق، بالمقابل يشعر بالاغتراب عندما يزور المواطن التي تحكمها الكفر، يصطدم بتباينات فكرية وثقافية عميقة، ويعر بالغربة والعزلة في بيئة غريبة عن قيمه ومعتقداته يمكن تصوير هذا الاغتراب بأنه "الشعور بالانحراف عن الجذور الثقافية والروحية الأصلية، وتحطيم الروابط الروحية المتمثلة في العقائد والقيم الدينية".[20]

[19] – د. حليم بركات ، الاغتراب في الثقافة العربية_متاهات الإنسان بين الحلم والواقع_إعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،ط1 ،2006،ص13.

[20] – د حليم بركات ، الإغتراب في الثقافة العربية ، (متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط1 ، 2006 ص 14.

يمكن رؤية مشاعر الاغتراب والغربة واضحة في وصفه "للبجناك"، حيث يصفهم بأنهم "أولي أسبلة همج" طوال اللحي أولي أسبلة همج يغير بعضهم على بعض ويفترش الواحد منهوم المرأة على ظهر الطريق" ويشير إلى سلوكياتهم البرية والغريبة عنه، مثل فترشهم المرأة على ظهر الطريق وأكلهم الدُّخن فقط هذه الصفات الأخلاقية والسلوكية الغريبة تجعله يشعر بالاغتراب والتباعد عن عاداته وقيمه.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن استكشاف مشاعر الاغتراب والغربة من وصفه للأنغام الدينية للقبيلة، حيث يصف صوتهم في درس إنجيلهم وإيقاع نغمهم بأنه "أطيب وأشجى من أصوات غيرهم من فرق النصارى" وترنمهم يأسر قلب المحزون ويتجه إلى المراثي والنوح هذا الوصف يعكس تأثره بموسيقى وتعابير دينية جديدة وغريبة عليه، مما يعزز شعوره بالاغتراب والتباعد عن ثقافته الأصلية.

جاءت رحلة أبي دلف مليئة بالعجائب والتجارب الفريدة التي تجاوزت تصوّره المألوف واجه أبو دلف تحديًا فريدًا في التعامل مع عادات القبائل التي التقاها، حيث لاحظ تنوعًا بارزًا يجسد تعدد الثقافات وتأثيرها على شعوره بالغربة و الحنين" يعبدون هذا المصحف، وزيد عندهم ملك العرب، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إله العرب، ولا يملّكون عليهم أحداً إلّا من ولد العلوي، وإذا استقبلوا السّماء فهم مفتوحو الأفواه، شاخصو الأبصار، ويقولون إنّ إله العرب ينزل منها ويصعد إليها"[21]، من خلال مشاهداته، استقى أبو دلف شعورًا متضاربًا يتراوح بين الاهتمام والاستغراب والحاجة للتكيف مع بيئة غريبة وغير مألوفة.

أثارت العادات المختلفة في القبائل انتباه أبو دلف، حيث شاهد تقاليد غريبة في الملبس والزينة والاحتفالات "ولهم عيدٌ عند ظهور قوس قزح"[22]، وشهد طقوسًا وعاداتٍ متميزة تميّزت بتفردها وغرابتها عن تلك التي اعتاد عليها في محيطه الاجتماعي الأصلي، بالإضافة إلى ذلك، تعايش أبو دلف مع طقوس زواج غريبة في تلك القبائل، حيث كان بعضها يسمح بزواج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه " "صِباح الوجوه، يتزوّج الرجل بابنته وبأخته وسائر محارمه، وليسُوا مجوساً، ولكن هذا مذهبهم في النكاح" وهو أمر كان غير مألوف ومستغرب بالنسبة لثقافته، كما واجه أيضًا عادات غذائية غريبة حيث كان الناس يتغذون على أصناف معينة من الطعام كالشعير والدخن والحمص ويعتبرونها أساس غذائهم.

[21]– د. عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية، (صورة الآخر في المخيال العربي الاسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2001،ص234.

[22] - المصدر نفسه، ص 233

بالإضافة إلى العادات والتقاليد الغريبة، اندهش أبو دلف من المناظر الطبيعية والموارد الموجودة في تلك البلاد، مثل وجود أشجار لا تأكلها النار وتواجد معادن الذهب التي يجدها السكان هناك قطعًا في سهول الأرض، هذه العجائبية التي أثارتها عادات القبائل قادته إلى شعور الاغتراب والتباعد الثقافي، وجد نفسه يعيش في بيئة جديدة تختلف تمامًا عن ما كان يعرفه، وهذا الاختلاف في العادات والثقافات أثر على انتمائه وشعوره بالمألوفية، فقد أصبح يشعر بالغربة والتباعد، حيث يجد صعوبة في التكيف مع هذا البيئة الجديدة وفهمها بشكل كامل، تفتح هذه التجارب الألفة والاغتراب بابًا لمشاهدة تناقضات الثقافات والديانات وتحفّز التفكير العميق والانفتاح الفكري، وينشأ الحوار الداخلي لمسعر بن المهلهل حيث يسعى للتوازن بين الاندماج والحفاظ على هويته الثقافية والدينية.

الخاتمة

خاتمة:

من بين النتائج التي تمخضت حول دراسة صورة الآخر في رحلة أبو دلف هي كالتالي:

- ❖ . في تجربة الرحالة أبو دلف، يتجسد مفهوم "الآخر" كفرد أو مجتمع غريب ومختلف عن ثقافة وتقاليد الرحالة، تم التعامل مع الآخر كفرصة للاستكشاف والتفاعل والتعلم.
- ❖ . تواجه الرحالة أبو دلف مع تحديات متعددة في فهم وتفسير صورة الآخر في رحلته، شملت التحديات اللغوية والثقافية والاجتماعية، حيث احتاج إلى تجاوز الفجوات الثقافية وفهم العادات والتقاليد المختلفة، كما واجه تحديات في التواصل وفهم تعبيرات الوجه واللغة الجسدية للآخر.
- ❖ . للتعامل مع هذه التحديات، تبنى الرحالة أبو دلف نهجًا فريدًا ومبتكرًا، يستخدم الاستماع الفعّال والملاحظة الدقيقة لفهم ثقافة الآخر، يمكنه الاستفادة من مهاراته اللغوية في التواصل وتبادل المعرفة، كما تبنى موقفًا متسامحًا واحترامًا للتنوع الثقافي، مما يساعده على التفاعل بشكل مبتكر واستثمار الاختلافات في إثراء تجربته.
- ❖ . باستخدام هذه الاستراتيجيات الفريدة والمبتكرة تمكن الرحالة أبو دلف أن يوسع آفاقه ويفهم صورة الآخر بشكل أعمق، مما ساهم في تحقيق تواصل ثقافي مثمر وتطوير فهمه الذاتي والثقافي.

نأمل أننا قد وفقنا بالإلمام بجوانب هذا الموضوع، الذي يبقى مفتوحا على جوانب أخرى جديدة من شأنها إثراء العملية، وتوسيع أفق الدراسة والمعالجة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم مصحف المدينة النبوية

- **الكتب والمجلدات:**

1- ابراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، (دراسة الأطماع الأجنبية في العالم)، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1996

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

3- أبو دلف، الرسالة الثانية لأبي دلف، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1955

4- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب، البلدان، نح: محمد أمين ضناي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط،د ت.

5- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994

6- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1413هـ، 1992م.

7- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

8- حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية،(من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

9- حسين محمد فهيم،أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت 1923,1990

10- حليم بركات، الإغتراب في الثقافة العربية، (متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2006

11- خليل حاوي، الصورة الشعرية دار الكتب الوطنية،هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي الإمارات، الطبعة الأولى 1431هـ 2010 م.

12- دانيال هنري باجو، الأدب العام المقارن، ت: غسان السيد منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،1997

13- دانييل هنري باجو، تر: غسان السيد، الأدب العام المقارن، دط، دت.

14- سعد فهد الدويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، (من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي)، وزارة الثقافة، 2008.

15- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، ط1، 1985.

16- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آليات الكتابة خطاب المتخيل، الهيئة العامة لفصور الثقافة، كتابات نقدي دط د.ب 2002

17- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4،1987.

18- شوقي ضيف، من المشرق و المغرب، بحوث في الأدب، دار بونار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

19- صالح سعد، الأنا الآخر، ازدواجية الفن التمثيلي، عالم المعرفة، 1978

20- ضياء الدين ساردار، الاستشراق، (صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية)، تر: فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة أبوظبي،ط1، 2012،

21- طوني بينيت و أخرون، تر:سعيد الغالمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع،ط1، بيروت، لبنان،2010

22- عبد الحميد هيمه، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة بوزريعة، الجزائر، 2005

23- عبد الرحمان بوعلي، الصورولوجيا و إشكالية التمثلات الأدبية، مجلة دراسات و أبحاث، المجلد 12، العدد2، أفريل 2020، جامعة الشارقة، الإمارات المتحدة.

24- عبد الرزاق الاصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب (مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها)، منشورات اتحاد العرب، دمشق سوريا، 1999

25- عبد الله ابراهيم عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، منشورات المجمع الثقافي، مج2، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت

26- عبد الله ابراهيم، المركزية الإسلامية، (صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001،

27- عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية، (صورة الآخر في المخيال العربي الاسلامي خلال القرون الوسطى)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2001

28- عبد النبي ذاكر، الصورة، الأنا، الآخر، منشورات الزمن، المغرب، أكتوبر، 2015.

29- علي علي صبح، الصورة الأدبية، تاريخ ونقد، دارّ أحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، دط، دت.

30- الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي، و ابراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984.

31- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة،مصر، الطبعة2، 2002

32- كلود عبيد جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،لبنان،ط الاولى، 2010.

33- كمال محمد الريامي،مشاهير الرحلة العرب،كنوز للنشر والتوزيع،القاهرة مصر،الطبعة الأولى،1434.

34- لكحل فيصل، الاستشراق في منظور إدوارد سعيد، دراسة تحليلية نقدية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 12، العدد1.

35- ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، سوريا.

36- مجاجي علجية، صورة الإسلام في العصور الوسطى عند الأوروبيين وتأثيرها في الكوميديا الإلهية، قسم الترجمة، كلية الأداب و اللغات، جامعة الجزائر،

37- محمد احمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر، تح:عباس عبد الستاتر، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1 1402.

38- محمد ماجد مجلي الدخيل، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي (شعر الأعمى التطيلي 525 هـ، أنموذجا، دار الكندي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 1574،2006.

39- مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثربولوجيا، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2011.

40- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، ط4، 2004.

41- مقدم علي و قادة محمد، الحوار الثقافي بين نحن و الآخر، من منظور عبد المالك مرتاض، المجلد 16، العدد2، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، سبتمبر2020.

42- ناصر عبد الرزاق الموافي،الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع للهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1415هـ، 1995م.

43- نصيرة كبير، الصورولوجيا في الأب المقارن، (الصورة الادبية للآخر)، مجلة الخطاب و التواصل، العدد7، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، جوان 2020.

44- نعيم اليافي، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1982

45- نعيمة شلغوم، الصورة الفنية، مفاهيم وقضايا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر، بسكرة، العدد43، مارس 2016.

46- هيلين توماس، جميلة احمد،الاجساد الثقافية الاثنوغرافية والنظرية،تر اسامة الغزولي،المركز القوي للترجمة،القاهرة مصر، الطبعة الاولى 2010 .

47- اليكس ميكشليلي، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق،ط1،1993

- **المجلات والدوريات:**

1- محمد زيطان، الأنثروبولوجيا و الرحلة، (حضور المقدس والمدنس رحلة ابن فضلان أنموذجا)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، المغرب، العدد، 75، أبريل، 2022.

2- عباس مخلوف وآخرون، إشكالية المركز والهامش في الخطاب الغربي(الدوافع و البدائل)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد8، العدد1، جامعة المسيلة، 2020.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: مدخل مفاهيمي	07
مفاهيم الصورة	08
الصورة عند الغرب	11
الصورة عند العرب	13
مفهوم الصورولوجيا	15
مفهوم الصورولوجيا عند الغرب	18
مفهوم الصورولوجيا عند العرب	19
مفهوم الأخر	21
صورة الأخر عند العرب	24
صورة الأخر عند الغرب	28
مفاهيم حول أدب الرحلة	32
أدب الرحلة خزان للصور	34
الفصل الثاني (التطبيقي): حول الثنائيات الضدية:	39
ثنائية الأنا و الأخر:	40
الهوية المتنقلة	43
اكتشاف الأنا وتوازنها	45
في ساحة المفارقة بين الأنا والآخر	46
دار الإسلام و دار الحرب	49
الكفر والإيمان.	54
الألفة والاغتراب.	57
خاتمة	63
قائمة المصادر والمراجع	65

فهرس المحتويات	70
الملخص	72

الملخص:

رحلة أبي دلف هي إحدى الرحلات التي وثقت الثقافات والحضارات القديمة، وقد ارتبطت بصورة كبيرة بتشكيل صورة الآخر في الأدب والتاريخ، تتحدث الرحلة عن أبو دلف الذي سافر إلى الصين والهند عابرا بلاد الترك وقد قام بتوثيق تجاربه وملاحظاته في كتابه "رسالة أبي دلف". ويستخدم هذا الكتاب كمرجع للعديد من الدراسات الأدبية والتاريخية لما يتضمنه من تفاصيل حول ثقافات وأساليب الحياة في البلدان التي زارها.

فقد أظهرت الرحلة كيف ينظر الإنسان إلى الأخر وكيف يتعامل معه، كما أظهرت تأثير الثقافة والعادات والتقاليد على النظرة للآخر. وتعد هذه الرحلة إحدى الأعمال التي ساعدت في تشكيل صورة الشرق لدى الغرب.

ومن الجوانب المهمة التي تميزت بها رحلة أبي دلف هو استخدامه للوصف والتفاصيل الدقيقة في وصف المناظر الطبيعية والمدن والناس، مما يجعل القارئ يشعر بواقعية الرحلة ويدخل في جو المكان الذي يصفه. كما أن رحلة أبي دلف قدمت رؤية جديدة للآخر، حيث لم يتم التعامل معه بصورة سلبية أو معادية، بل عرضه بأسلوب واعٍ ومفهوم، مما يدل على الاحترام والتسامح والتفهم المتبادل بين الثقافات.

Abstract :

Abu Dolf's journey is one of the trips that documented ancient cultures and civilizations, and it was closely related to the formation of the image of the other in literature and history. The journey talks about Abu Dolf, who traveled to China and India passing through the country of the Turks

He documented his experiences and observations in his book "The Message of Abi Dulaf". This book is used as a reference for many literary and historical studies, as it includes details about the cultures and lifestyles of the countries he visited.

The trip showed how a person looks at the other and how he deals with him, as well as the influence of culture, customs and traditions on the view of the other. This trip is one of the works that helped shape the image of the East in the West.

One of the important aspects that characterized Abu Dalif's journey is his use of description and accurate details in describing landscapes, cities and people, which makes the reader feel the realism of the journey and enters into the atmosphere of the place he describes. Abu Dalif's journey also provided a new vision of the other, where the other was not dealt with in a negative or hostile way, but was presented in a conscious and understandable manner, which indicates respect, tolerance and mutual understanding between cultures.